تحقيقات في المختلف من نسخ نهج البلاغة بين المشهور وضبط الحِلِّيَّين (ابن السكون الحِلِّيّ ت حدود ٦٠٠هـ) و(ابن أردشير الطبريّ الحِلِّيّ حيًّا ٦٨١هـ) (الخطبة الأولى/القسم الثالث)

أ.د. عليّ عبَّاس الأعرجيّ
مركز تراث الحِلَّة

Verifications at Various Versions of Nahj Al-Balagha between the famous and accuracy of the Hillians (Ibn Al-Sukun Al-Hilli, D. 600 A.H) and (Ibn Ardashir Al-Tabari Al-Hilli, alive in 681 A.H) (First Sermon/ Section Three)

Prof. Dr. Ali Abbas Al-Araji
Hilla Heritage Center

٩. أجالَ، أحال، أجَّلَ[١].

في قول أمير المؤمنين: «أَحَالَ الأَشْيَاءَ لأَوْقَاتِهَا»[٢].

«أجال الأشياء لأوقاتها»؛ أي: أدارَها، ونقلها إليها وفاقًا لِما اقتضاه القضاء اللازم، والقدر الحتْم.

هذا على روايةِ (أجَالَ) بالجيم، أو بالحاء، وجعلهُ من الإحالة بمعْنى التَّحويل، والنَّقل، وعلى المعنى الآخر؛ فالمعنى: إنَّه أوثب الأشياء، وسواها على أوقاتها بحسب ما تقتضيه الحكمةُ، والمصلحة.

وأمَّا على رواية (أجَّل) بالجيم؛ فالمعنى: إنَّه وقَّتها لأوقاتها لا تتقدَّم عليها، ولا تتأخَّر عنها، قال سبحانه: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ الأعراف: ٣٤.

وعلى روايته بالحاء (أحال)؛ فمعناه أنَّه أحلَّها في أوقاتها، وعلى أيِّ تقديرٍ كانَ؛ فالمقصود إنَّه سبحانهُ جعلَ لكلِّ شيءٍ وقتًا معيَّنًا، وزمانًا مخصوصًا، بحسب اقتضاء النِّظام الأكمل، والنّظم الأصلح، لا يتقدَّم عليه، ولا يتأخَّر عنه[٣].

وإذا أردنا مناقشة الجذور اللغويَّة للألفاظ الثَّلاثة (أجال، وأحال، وأجَّل) نجد أنفسنا أمام معانٍ لغويَّة متمايزة، وعليه سنحتكُم إلى المعجمات؛ لتبيان الدَّلالة المرجوَّة للنصِّ العلويّ؛ فنقول:

(١) في (أ): ٤٦ (أجال)، وفي النسخة (ن) من التحقيق نفسه، برواية ثانية (أحال)، وفي (سكون): ٧٠ (أجَّل)، وفي النسخة (ست) من التحقيق (أحال)، وفي (أردشير): غير واضحة ويبدو أنَّها (أجال) أَجَالَ، وفي تحقيق الفرطوسيّ: ١/ ١٧٥ (أحال)، وفي الهامش: ١٤ (في ع: أجَّل)، وتحريك المحقِّق الفرطوسيّ على اللام (أجلَّ)، وهو خطأ مطبعيّ.

(٢) نهج البلاغة: ٤٠.

(٣) منهاج البراعة (الخوئيّ): ١/ ٣٥٦-٣٥٧.

جاءَ في الصِّحاح: جَال يجولُ جولًا، وجولانًا. وكذلك اجتال، وانجال، وجولان المال أيضًا بالتَّحريك: صغارهُ، ورديئه، عن الفرَّاء[1].

والإجالة: الإدارة.

والتّجْوال: التّطواف، وجوَّل في البلاد؛ أي: طوَّف.

قال أبو عمرو (ت١٥٤هـ): جُلتُ هذا من هذا؛ أي: اخترته منه، واجتلت منهم جولًا؛ أي: اخترتُ، وتجاولوا في الحرب؛ أي جالَ بعضُهم على بعضٍ، وكانت بينهم مجاولات، والمجول: ثوب صغير تجول فيه الجارية، ومنه قول امرئ القيس:

إذا ما اسبكَرَّت بين درعٍ ومجـولِ[2]

ويقال للرَّجُل: ما لهُ جول؛ أي: عقل، وعزيمة، مثل جول البئر[3].

وفي مقاييس اللغة: «الجيم والواو واللام أصلٌ واحدٌ، وهو الدوران، يُقال: جال يجول جولًا وجولانًا وأجلته أنا، هذا هو الأصل، ثمَّ يُشتقُّ منه»[4].

وجاء في التَّاج: جالَ في الحَربِ جَوْلَةً، جالَ في الطَّوافِ جَوْلًا، وَجَوَلانًا، مُحَرَّكةً اتَّفق عليه الأزهريُّ (ت٣٧٠هـ)، وابنُ سِيدَه (ت٤٥٨هـ)، والزَّمَخْشرِيُّ (ت٥٣٨هـ)، والصاغانِيُّ (ت٦٥٠هـ).

وجِيلالًا، بالكَسر، وفي بعض النُّسَخ: جِيلانًا، قال ابنُ عَبَّاد (ت٣٨٥هـ): جِيلالٌ: فِعْلالٌ، مِن جالَ يَجُول، وجَوَّلَ تَجْوالًا عن سِيبَوَيه، قال: والتَّفْعالُ بِناءٌ موضوعٌ للكَثْرة، كـ (فَعَّلْتُ) في فَعَلْتُ، وفي العُباب: جالَ تَجْوالًا، وفي التَّهذيب: جَوَّلَ البِلادَ تَجْوِيلًا؛ أي: جالَ فيها كثيرًا، واجْتَال، وانْجالَ طافَ.

(١) الصِّحاح: ٤/ ١٦٦٢-١٦٦٣.
(٢) البيت ٤١ من معلَّقة امرئ القيس، ديوانه، طبعة بيروت: ٤٧.
(٣) الصِّحاح: ٤/ ١٦٦٢-١٦٦٣.
(٤) مقاييس اللغة: ١/ ٤٩٥.

وجالَ القَومُ جَوْلَةً: انكَشفُوا؛ ثمّ كَروا وكانت لهم في الحَرب جَولَةٌ، وجالَ التُّرابُ جَـوْلًا: ذَهَـبَ، وسَطَحَ، كـ(انْجالَ) عن ابنِ سِيدَه، وفي التهذيب: انْجِيالُ التُّرابِ: انكِشاطُهُ.

وجالَ الشيء جَـوْلًا: اختارَهُ، قال أبو عمرو: جُلْتُ هذا من هذا؛ أي: اخترتُه منه.

وأجالَهُ، إجالَةً أجاله بِه؛ أي: أَدارَهُ، كجالَ بِه جَوْلًا، عن الزَّجَّاج (ت٣١١هـ)، يُقال في المَيسِر: أَجِلِ السِّهامَ، وتَجاوَلُوا: جالَ بعضُهم على بعضٍ في الحَـرْب؛ أي: صالَ، وبَينَهم مُجاوَلاتٌ، ومُطارَداتٌ، قال ابنُ عَبّاد؛ أي مُمانَعَةٌ، ومُدافَعَةٌ، ويَومٌ أَجْوَلُ، وجَيلانِيٌّ، وجَوْلانِيٌّ كِلاهما عن اللِّحيانِيّ (ت٢٢٠هـ).

واجْتَالَ مِنْهُم جَوْلًا؛ أي: اخْتارَ، ومَيَّز بعضَهم مِن بَعض، وكذا اجْتالَ مِن مالِه جَوْلًا، وجَوالَةً؛ أي: اختارَ، قال عَمرو ذُو الكَلْبِ، يَصِفُ الذِّئب:

فـاجْـتـالَ مِنـهـا لَـجْبَـةً ذاتَ هَـــزَمْ[1]

ويُقال: أَجِلْ جائِلَتَكَ؛ أي: اقْضِ الأمرَ الذي أنتَ فيه كما في المُحكَم، وهو مَجازٌ، ومِن المَجاز: الجُولُ، بالضَّمِّ: العَقْلُ، والعَزْمُ هكذا في النُّسَخ، والصَّواب: والحَزْمُ كما هو نَصُّ التّهذيب، وفي المُحْكَم: ليس له جُولٌ؛ أي: عَزِيمةٌ تمنَعُه، مِن جُولِ البئرِ؛ لأنَّها إذا طُوِيَتْ كان أَشَدَّ لها، والجُولُ: لُبُّ القَلْبِ، ومَعْقُولُه.

وفي التَّهذيب: ويُقالُ للرَّجُلِ الذي لَه رأيٌ، ومُسكَةٌ: رَجُلٌ له زَبْرٌ وجُولٌ: أي تماسُكٌ لا يَنْهَدِمُ جُولُه، وهو مَزْبُورٌ: ما فوقَ الجُولِ مِنه، وصُلْبٌ: ما تحت الزَّبْرِ مِن الجُول، ولِـمَن لا تَماسُكَ له، ولا حَزْمَ: ليس لفُلانٍ جُولٌ؛ أي: يَنْهَدِم جُولُهُ.

(١) انظـر: مجالـس ثعلب: ٥٢٨، ولم ينسـبه، علماً أنَّ الطَّبعة بتحقيق عبد السـلام هـارون، الطبعة الثانيـة، دار المعارف بمصر، ١٩٥٠م، علمًا أنَّ الرَّجـز يُروَى لعمرو ذي الكلب، أو لأبي خرَّاش الهذليّ، كما في شرح أشعار الهذليِّين: ٢٣٩.

وبعد عرضنا لهذه المعاني لمادَّة (جول)، نستنبط منها المعاني القريبة الآتية:

١. صغار المال ورديؤه.

٢. التّجوال، وهو التّطواف في البلاد.

٣. الاختيار، والتَّمييز.

٤. التَّجاول في الحرب، وهو الكرُّ، والصَّولة، يكرُّ بعضهم على بعضٍ، ويصول.

٥. العقل، فلانٌ ذو جولٍ، ذو عقلٍ، ومُسكة، وعزيمة، وحزم.

٦. الدَّوران، والإدارة إدارة الأشياء، والأمور.

٧. قضاء الأمر، أجِلْ جائلتك: اقضِ.

٨. لبُّ القلب، ومعقوله.

وهذه هي المعاني القريبة في قوله عليه السلام: «**فأجال الأشياء لأوقاتها**»: طوَّف بها، وغيَّرها، أو: اختار لها أوقاتًا معيَّنة، للقدَر، أو: أعقلَ الأشياءَ بمعقولاتها، بأن جعل لها وقتًا معيَّنًا، معقولًا، ومسيَّرًا، أو: أدار الأمور لأوقاتها، مباديها، ومنتهاها، أو: قضى الأمور، والحيوات لأوقاتها؛ فلا تُقدِّم ما أخَّر، ولا تؤخِّر ما قدَّم، أو: التَّحريك، والتَّرديد؛ لأجل الوقت؛ فتكون اللام في (أوقاتها) للملك، أو قد تكون لانتهاء الغاية، وهو واردٌ.

وأقرب المعاني للسِّياق هو إدارة الأوقات؛ ودورانها، وعلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ آل عمران: ١٤٠؛ أي: نديرُها = نصرِّفها بينهم؛ فإجالة الأشياء: تحريكها، وتدويرها، ونقلها من العدمِ إلى الوجود.

وقد يكون معنى (القضاء) واردًا؛ فالله جلَّ عُلاه يقضي الأمور في العوالم السَّابقة لعالم الدنيا، ثمَّ يُجيلها = يقضيها بإرادته، ومشيَّته في العالم الدُّنيويّ.

أمَّا (أحال)[1]، في مادة (حوَل)؛ فيرى ابن فارس أنَّ الحاء، والواو، واللام أصلٌ واحدٌ، وهو تحرُّكٌ في دورٍ؛ فالحول العام، وذلك أنَّه يحول؛ أي يدور، ويقال حالت الدَّار، وأحالت، وأحولت أتى عليها الحول، وأحولتُ أنا بالمكان، وأحلت؛ أي: أقمت به حولًا.

يقال: حالَ الرَّجُلُ في متن فرسه يحولُ حولًا، وحؤولًا إذا وثب عليه، وأحال أيضًا، وحال الشَّخص يحول إذا تحرَّك، وكذلك كلُّ متحوِّل عن حالةٍ، ومنه قولهم: استحلت الشَّخص؛ أي نظرتُ هل يتحرَّك.

وفي الصِّحاح: الحولُ: الحيلة، والقوَّة أيضًا، والحول: السَّنة، وحال عليه الحولُ؛ أي: مرَّ، وحالتِ الدَّارُ، وحال الغلام؛ أي: أتى عليه حول، وحالتِ القوسُ، واستحالت بمعنى؛ أي: انقلبت عن حالها التي غمزت عليها، وحصل في قابها اعوجاج، قال أبو ذؤيب:

وَحَالَتْ كحَوْلِ القَوْسِ طلَّتْ، وعطَّلَتْ
ثَلاثًا فَأعْيا عِجْسُها، وظُهارُها[2]

وحالَ عنِ العهد حؤولًا: انقلب، وحال لونُه؛ أي: تغيَّر واسودَّ، وحال الشيء

(١) ابن ميثم البحرانيّ في شرح النهج لم يذكر غيرها، انظر: ١/ ١٣١، ١٣٥، وفي شرح النهج لابن أبي الحديد: ١/ ٨١ «وأمَّا قوله: (أحال الأشياء لأوقاتها)، فمن رواها: (أحلَّ الأشياء لأوقاتها)، فمعناه جعل محلَّ كلِّ شيء ووقته، كمحلِّ الدين»، فتتحصَّل لدينا رواية أخرى، لك أن تذهب إلى شرح ابن ابي الحديد لتستوفي معانيها.
أمَّا في البحار، فقد جعل هذه الرواية (أحال) هي الأصل، وبالجيم (أجال) وردت في نسخة صحيحة كما يقول، وأمَّا رواية (أجَّل) فقد وردت في الاحتجاج، على حدِّ قوله. انظر البحار: ٥٤/ ١٨٠.

(٢) ديوان أبي ذؤيب: ٦٧، في مطوَّلة لرثاء نُشيبة بن محرّث، وهو البيت ٢٩، تحقيق وتخريج، د. أحمد خليل شيَّال، بور سعيد، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

بيني وبينك؛ أي: حجز، وحال إلى مكان آخر؛ أي: تحوَّل، وحال الشَّخص؛ أي: تحرَّك، وكذلك كلُّ متحوِّلٍ عن حاله، ويقال: قعدوا حوله، وحواله، وحوليه، وحواليه، ولا تقلْ حواليه بكسر اللام، وقعد حياله وبحياله؛ أي: بإزائه، وأصله الواو، والحالة: واحدة حال الانسان وأحواله، والحال: الدراجة التي يذرج عليها الصبي إذا مشى، وهي كالعجلة الصَّغيرة.

والحال: الكارة التي يحملها الرَّجل على ظهره.

والتحوُّل: التنقُّل من موضعٍ إلى موضعٍ، والاسم الحول، ويُقال أيضًا: تحوَّل الرَّجل، إذا حمل الكارة على ظهره، وتحوَّل أيضًا؛ أي: احتال من الحيلة عن يعقوب.

وأحال الرَّجل: أتى بالمحال، وتكلَّم به، وأحال في متن فرسه مثل حال؛ أي: وثب، وأحال الرَّجل، إذا حالتْ إبله فلم تحمِلْ، وأحال عليه بالسَّوط يضربه؛ أي: أقبل.

وأحالتِ الدار، وأحْولت: أتى عليها حولٌ، وكذلك الطَّعام، وغير، فهو محيل، وأحال الرَّجل بالمكان، وأحول؛ أي: أقام به حولًا عن الكسائيّ (ت١٨٩هـ).

وأحال الماء من الدَّلو؛ أي: صبَّه، وقلبها، وحاولت الشيء؛ أي: أردتُه، والاسم الحويل، وحوَّله فتحوَّل، وحول أيضًا بنفسه، يتعدَّى، ولا يتعدَّى، وقولهم: لا محالةَ؛ أي: لا بدَّ، يقال: الموت آتٍ لا محالة، ورجل حُوَلة، مثال هُمَزة؛ أي: مُحتال.

قال الفرَّاءُ: يقال: هو أحول منك؛ أي: أكثر حيلةً، وما أحوله، ورجل حوّل، بتشديد الواو؛ أي: بصيرٌ بتحويل الأمور، وهو حولي قلب[1].

يقول المصطفويّ في هذه المادَّة: إنَّ الأصل الواحد في هذه المادَّة: هو تبدُّل الحالة، والتحوُّل من صورةٍ، أو جريانٍ، أو حالةٍ، أو صفةٍ، أو برنامج إلى أخرى.

(١) الصِّحاح: ٤/ ١٦٨٠-١٦٨١.

ومن مصاديق هذا المعنى العام: إنَّ الأيَّام، والشُّهور إذا انتهتْ إلى سنةٍ كاملةٍ فتصيرُ تلك الشُّهور متحوِّلةً إلى سنةٍ أُخرى مثلها، كتحوُّل صفحة إلى صفحة أُخرى مثلها في تمام الخصوصيَّات من عدد الأيَّام، والشُّهور، والفُصول.

ومن مصاديقه: الحالة العارضة للإنسان؛ فإنَّها متحوِّلة متبدِّلة من خصوصيَّة إلى أخرى، وقد قيل: كلُّ حالٍ يزول.

ومن مصاديقه: الحوالة؛ فإنَّ الدَّين يتحوَّل من رقبة المديون إلى رقبة المحال عليه، وكذلك الذمَّة المديونة تتحوَّل إلى أخرى.

ومن مصاديقه: استحالة الأرض، وتحوُّلها إلى الاعوجاج.

ومن مصاديقه: الحول، والحوالي؛ فإنَّ محيط الشيء يتحوَّل إلى محيط خارج عنه، وإلى حالة ثانويَّة قريبة منه؛ فيُقال: إنَّها حولها، وحواليها.

ومنها: الحيلة، وهي تحويل الفكر، والكلام، والعمل لمنظورٍ خاصٍّ يضمرُهُ.

ثمَّ إنَّه قد يشتقُّ من بعض هذه الألفاظ بمعانيها الخاصَّة بها أفعالٌ بالاشتقاق الانتزاعيّ؛ فيُقال: حال، وأحال، وأحول من الحول بمعنى العام، واحتال من الحيلة.

ولا يخفى أنَّ قيد التَّحوُّل، والتبدُّل مأخوذ في جميع هذه المصاديق والموارد، وبهذا يظهر الفرق بين الحول، والعام، والسَّنة، وبين الحالة والصِّفة، وبين الحول، والحوالي، والجانب والطَّرف[1].

وتكون المعاني المنتزعة لهذه اللفظة، الآتي:

١. التحرُّك في دورٍ.

٢. البقاء في حالة، أو زمان.

(١) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن: ٢/ ٣١٨.

٣. القوَّة، والتَّدبير.

٤. الحجز، من حال بيني وبينه؛ أي: حجز.

٥. أتى بالمحال؛ المستحيل.

٦. الإرادة، من حاولتُ الشيء؛ أردتُه.

٧. البصير بتحويل الأمور.

٨. الإحاطة بالأشياء، زمانًا، ومكانًا، وحالةً.

٩. الحيلة بمعنى الاصطراف، يحتال لعياله، يطلب الرِّزق لهم.

هذه المعاني المنتزَعة بالجملة من المادَّة المزبورة، وفيها معانٍ قريبةٌ من سياق قول أمير المؤمنين «**أحال الأشياء لأوقاتها**»، ومنها بعيدٌ، ويمكن أن يُردَّ بلطفِ الصَّنعة، والتَّأويل.

ومن المعاني القريبة لهذه المادَّة: التحرُّك؛ أي: حرَّك الأشياء لأوقاتها، ومنها: القوَّة والتَّدبير؛ أي: دبَّر الأشياء لأوقاتها، ومنها: الإرادة، وهو المريد سبحانه ومنها: البصير بتحويل الأمور، وتوظيفها لصالح البشر، ومنها: الإحاطة بالأشياء، وهكذا..

وأقرب المعاني لهذا السِّياق هو التَّحريك (من العدم إلى الوجود)، وكذلك الإحاطة؛ فالذي يحرِّك الأمور، والأشياء عالمٌ بها، بصيرٌ، ومحيطٌ.

أمَّا (أجَّل)، وهي في الجذر اللغويّ (أجلَ) بتخفيف الجيم؛ فقد جاء في المقاييس «اعلم أنَّ الهمزة والجيم واللام يدلُّ على خمسِ كلماتٍ متباينة، لا يكاد يمكن حمل واحدة على واحدة من جهة القياس؛ فكلُّ واحدةٍ أصلٌ في نفسها، وربُّك يفعل ما يشاء؛ فالأجل غاية الوقت في محلِّ الدّين وغيره..»[1].

(١) معجم مقاييس اللغة: ١/ ٦٤.

وفي اللسان[1]: الأَجَلُ: غايةُ الوقت في الموت، وحُلول الدَّين ونحوِه، والأَجَلُ: مُـدَّةُ الشَّـيء؛ وفي التنزيل العزيز: ﴿وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ البقرة: ٢٣٥؛ أَي: حتَّى تقضي عدَّتها.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى﴾ طه: ١٢٩؛ أَي: لكان القتل الذي نالهم لازمًا لهم أَبدًا، وكان العذاب دائمًا بهم، ويعني بالأَجل المسمَّى القيامة؛ لأَن الله تعالى وعدهم بالعذاب ليوم القيامة، وذلك قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ﴾ القمر: ٤٦، والجمع: آجال.

والتَّأْجيل: تحديد الأَجَلِ، وفي التنزيل: ﴿كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗا﴾ آل عمران: ١٤٥.

وأَجِلَ الشيءُ يأْجَل؛ فهو آجِل، وأَجيل: تأَخَّر، وهو نقيض العاجل.

والأَجِيل: المُؤَجَّل إِلى وقتٍ؛ وأَنشد:

وغـايَـةُ الأَجِـيـلِ مَـهْـواةُ الـرَّدَى[2]

والآجلة: الآخرة، والعاجلة: الدُّنيا، والآجل، والآجلة: ضدّ العاجل، والعاجلة، وفي حديث قراءة القرآن؛ يَتَعَجَّلونه، ولا يتأَجَّلونه.

وفي حديث آخر: يتعجَّله، ولا يتأَجَّله؛ التأَجُّل: تَفَعُّلٌ من الأَجَل، وهو الوقت المضروب المحدود في المستقبل؛ أَي: إِنَّهم يتعجَّلون العمل بالقرآن، ولا يؤخِّرونه.

وفي حديث مكحول: كنَّا بالسَّاحل مرابطين فَتَأَجَّل مُتَأَجِّلٌ منَّا؛ أَي استأْذن في الرجوع إِلى أَهله، وطلب أَن يُضرَب لهُ في ذلك أَجل، واسْتأْجَلْتُه فأَجَّلَني إِلى مدَّةٍ، وتَأَجَّلوا على الشَّيء: تَـجَمَّعوا، والتَّأْجيل: المداواة.

(١) اللسان: ١١/ ١١-١٢.

(٢) هذا الرجز غير منسوبٍ في كلِّ كتب اللغة.

وحكي عن ابن الجَرَّاح: بي إِجْل فأَجِّلوني؛ أَي: داووني منه كما يقال طَنَّيْته من الطَّنى ومَرَّضْتُه.

والأَجْلُ: الضِّيق، وأَجَلُوا مالَهم: حبسوه عن المَرعى.

وأَجَلْ، بفتحَتَين: بمعنى نَعَمْ، وقولهم أَجَلْ؛ إِنَّما هو جواب مثل نعَمْ؛ قال الأَخفش (ت٢١٥هـ): إِلَّا أَنَّه أَحسن من نعم في التَّصديق، ونعم أَحسن منه في الاستفهام؛ فإِذا قال: أَنت سوف تذهب قلت أَجَلْ، وكان أَحسن من نَعَمْ، وإذا قال أَتذهب قلت نعَم، وكان أَحسن من أَجَلْ.

وأَجل: تصديقٌ لخبر يخبرك به صاحبك؛ فيقول: فعل ذلك فتصدِّقه بقولك له أَجَلْ، وأَمَّا نعَمْ فهو جواب المستفهِم بكلام لا جَحْدَ فيه، تقول له: هل صلَّيت؟ فيقول: نَعَمْ؛ فهو جواب المستفهِم.

وأَجَّله فيه: جمعَه، وتأَجَّلَ فيه: تَجَمَّع، وفعلت ذلك من أَجْلك وإِجْلِك، بفتح الهمزة وكسرها، وفي التَّنزيل العزيز: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ المائدة: ٣٢، الأَلف مقطوعة؛ أَي: من جَرَّا ذلك؛ قال: وربَّما حذفت العرب مِنْ، فقالت: فعلت ذلك أَجْلَ كذا، قال اللحيانيّ: وقد قرئ ﴿مِنْ أَجَلِ ذَٰلِكَ﴾[1]، وقراءة العامَّة (من أَجل ذلك)، وكذلك فعلته من أَجْلاك وإِجْلاك؛ أَي من جَرَّاك، ويُعَدَّى بغير مِنْ؛ قال عديّ بن زيد:

أَجْـــلَ أَنَّ الله قـد فَـضَّـلَـكُـمْ
فَـــوْقَ مَـــنْ أَحْـكـأَ صُـلْـبـاً بـــإِزار

وقد روي هذا البيت: إِجْلَ أَن الله قد فضلكم.

قال الأَزهريّ: والأَصل في قولهم فعلتُه من أَجلك أَجَلَ عليهم أَجْلاً؛ أَي: جَنى عليهم وجَرَّ.

(١) قرأه أبو جعفر المدنيّ. لاحظ: شواذ القرآن لابن خالويه: ٣٨.

والتأجُّل: الإقبال، والإدبار.

والأصل في (أجل) هو الوقت المعيَّن المعهود، وبتناسب هذا المعنى تستعمل في ما يقرُب[1] منها؛ فيقال: أجل على قومه شرًّا؛ أي: جلبه، وجرَّه إليهم فإنَّ تعيين وقت عليهم يلازم إقدامًا على ضررهم، وتضييقًا عليهم، وهذا المعنى قريب من قولهم: أجَّل الشيء؛ أي: تأخَّر، وتعيَّن.

﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ﴾ البقرة: ٢٨٢، ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ الأعراف: ٣٤، ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ الأنعام: ١٢٨، ﴿لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ المرسلات: ١٢، ﴿كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ آل عمران: ١٤٥، والتَّأجيل: تعيين الأجل، والمؤجَّل: الموقَّت، والمعيَّن.

يمكن استكناه المعاني من النُّصوص المتقدِّمة، وعلى النَّحو الآتي:

١. غايةُ الوقت في الموت وحُلوله.
٢. مدَّة الشيء.
٣. تحديد الأَجَل.
٤. نقيض العاجل.
٥. الوقت المضروب المحدود في المستقبل.
٦. التَّجمُّع، من تأجّل القوم، تجمَّعوا.
٧. الضِّيق، والحبس.
٨. المداواة.
٩. الإقبال، والإدبار.
١٠. الوقت المعيَّن المعهود، والمحدَّد.

(١) التحقيق في كلمات القرآن: ١/ ٣٩.

والمعنى القريب من السِّياق الذي وردت فيه؛ هو الوقت المعيَّن المحدود، وغاية الوقت وحدوده، كأنَّه أراد: جعل للأشياء أجلًا محدودًا، وحالًا ممدودًا؛ بأن وقَّتها لحينٍ، وأجلٍ هو يعلمه.

قبل البدء بترجيح الروايات، أرغب في استعراض المصنِّفين الذين ذكروا هذه الرِّواية[1]، أو تلك، مع عدم لحاظ الترَّجيح.

ورِواية (أَحَالَ)[2]:

١. معارج نهج البلاغة، البيهقيّ (ت٥٦٥هـ).

٢. الاحتجاج، الطبرسيّ (القرن السادس): ١/ ٢٩٧.

٣. شرح ابن أبي الحديد: ١/ ٧٨، ٨١.

٤. مطالب السُّؤول مناقب آل الرسول، الشيخ كمال الدين محمَّد بن طلحة الشافعيّ (٥٨٢-٦٥٢هـ): ١٥٥.

٥. شرح النهج، البحرانيّ: ١/ ١٣١ و١٣٥.

٦. نهج الإيمان، تأليف زين الدين عليّ بن يوسف بن جبر، من أعلام القرن السابع: ٣٦٨.

٧. تفسير المحيط الأعظم والبحر الخِضَمّ في تأويل كتاب الله العزيز المحكم، السيِّد حيدر الآمليّ، المتوفَّى في القرن الثامن: ٢/ ١٤٩.

٨. بحار الأنوار، المجلسيّ: ٥٤/ ١٧٧، ١٨٠، ٧٤/ ٣٠١.

(١) مع لحاظ الأصل، أي من سنذكره ذكر الروايات جميعًا، ولكن الذِّكر الأوَّل للمتن أو الاستشهاد.

(٢) ذكر الشيخ قيس العطَّار في تحقيقه المثبت (أجال) بالجيم، وذكر في الهامش (٥) في الصحيفة ٤٦ من تحقيقه: «في (ن) (أجال)، لكن وُضعت حاء صغيرة تحت الجيم، فكأنَّها نسختان (أجال)، و(أحال)»، ولا أدري لِمَ لَمْ يرجِّح الشيخ العطَّار قراءة الحاء؟ مع علمنا أنَّها من متبنَّيات الشرَّاح الكبار، أمثال البحرانيّ، وابن أبي الحديد.

٩. شرح الأسماء الحسنى، الملَّا هادي السبزواريّ: ٢/ ٩٨.

١٠. في ظلال نهج البلاغة، مغنية: ١/ ٢٧.

١١. مصادر نهج البلاغة، وأسانيده، عبد الزَّهراء الخطيب: ١/ ٣٠٣.

١٢. مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة[١]، النقويّ الخراسانيّ: ١/ ١٥٤.

١٣. نهج البلاغة، محمَّد عبده: ١/ ١٦.

١٤. نهج البلاغة، د. صبحي الصالح: ٤٠.

ورواية (أجال):

١. معارج نهج البلاغة، البيهقيّ: ٥٥.

٢. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، للفقيه المحدِّث الأديب المفسِّر قطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله الراونديّ، المتوفَّى سنة ٥٧٣هـ: ١/ ٢٣.

٣. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، العلَّامة المحقِّق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئيّ: ١/ ٣٥٠.

٤. مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة[٢]، النقويّ الخراسانيّ: ١/ ١٦٠-١٦١.

(١) في المتن هكذا (أحال)، وعند شرح الخطبة يقول: «وروي أحال بالحاء المهملة». انظر: ١/ ١٦١. **أقول:** فأصل الخطبة عنده هو (أجال)، بالحاء المعجمة، وهذا من فوات المحقِّقين، والاستدراكات التي تؤخَذ عليهم؛ يجب على المحقِّق الثَّبت معرفة المبتدأ، والوسط، والمختَتَم من تحقيقه، ويقرأ كتابه قراءة منظومة.

(٢) في المتن هكذا (أحال)، وعند شرح الخطبة يقول: «وروي أحال بالحاء المهملة». انظر: ١/ ١٦١. **أقول:** فأصل الخطبة عنده هو (أجال) بالحاء المعجمة، وهذا من فوات المحقِّقين، والاستدراكات التي تؤخَذ عليهم؛ يجب على المحقِّق الثَّبت معرفة المبتدأ، والوسط، والمختَتَم من تحقيقه، ويقرأ كتابه قراءة منظومة.

٥. تفسير المحيط الأعظم والبحر الخِضَمّ في تأويل كتاب الله العزيز المحكم، السيِّد حيدر الآمليّ، المتوفَّى في القرن الثامن: ٢/ ١٧٩، ١٨٢.

٦. اختيار مصباح السالكين من كلام مولانا وإمامنا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام (شرح نهج البلاغة الوسيط): ٦٣.

ورواية (أجَّل):

١. بحار الأنوار، في إحدى روايتيه اللتَين اعتمدهما في كتابه: ٤/ ٢٤٨.

٢. ميزان الحكمة، محمَّد الرِّي شهريّ: ١/ ٧٨٧.

بغضِّ النظر عمَّا يُتبادَر في ذهن المتلقِّي، والتبادر علامة الحقيقة أحيانًا، من أنَّ رواية (أجال) ورواية (أحال) بينهما تصحيف في الحاء (منقَّطةً، وخاليةً)، تكون رواية (أحال) بالحاء المهملة، هي الرواية الأكثر استعمالًا، ورواية (أجال) بالحاء المنقَّطة من تحت تأتي بعدها بالمرتبة، ورواية (أجَّل) هي الأضعف سُلَّمًا بينَها.

لكن الرِّواية الأرجح عندي هي (أجال)، للأسباب الآتية:

أوَّلًا: إنَّ اشتقاق هذه اللفظة قد ذِكرها قبل أحد عشر كلمة أو يزيد، بقوله: «بلا رويَّة أجالها»، مع علمنا أنَّ جميع النُّسخ اتَّفقت على هذه اللفظة، ومن دون ذكر رواية (أحالها، أجَّلها)؛ فوجود هذه اللفظة من باب ذكر اللفظ، وذكر اشتقاقها في الكلام نفسه توثيقًا، وثباتًا، وكأنَّه يريد أن يقول: «بلا رويَّة أجالها.. أجال الأشياء».

ثانيًا: إنَّ اشتقاقات هذه المادَّة، معنًى، وموردًا متَّفقة، وغير مضطربة، سواء أكانت المعاني حسيَّة، أم معنويَّة، وحتَّى بالنَّظر إلى المعنى المركزيّ = المحوريّ للفظة، تجد أقرب المعاني للسِّياق هو (أجال)، وإدارة الأوقات؛ ودورانها، موردٌ وثيق؛ لأنَّ السِّياق يطلبه

حثيثًا «ولاءم بين مختلفاتها، وغرز غرائزها»، وعلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ آل عمران: ١٤٠؛ أي: نديرُها = نصرِّفها بينهم؛ فإجالة الأشياء: تحريكها، وتدويرها، ونقلها من العدمِ إلى الوجود.

وأجال الاشياء لأوقاتها، أي: غير[1]، ومعناه: إنَّ الصَّلاح في الفعل قد يقف على وقتٍ مخصوص؛ فتقديمه، وتأخيره يخرجه عن الصَّلاح؛ فيجب أن يكون عالمًا بالأوقات المستقبلة، حتَّى يجرى التَّدبير على قضيَّة الحكمة.

وقيل: معناه لو قدَّرنا قبل خلق العالم أوقاتًا لكان الصَّلاح في إنشاء العالم في ذلك الوقت، حتَّى لو قدَّم أو أخَّر تحريك الشَّمس، وما في الفلك، أو قدَّم عليه، لخرج ما يتعلَّق من الصَّلاح بحدوث العالم عن انتظامه، ولصار كلُّ صلاح فسادًا؛ فلذلك قدَّره على الأوقات المعروفة، ليقع كلُّ جزءٍ من أفعاله في الوقت الذي وقف صلاحُه عليه.

وقال قومٌ: المراد بقوله: أجال الاشياء لأوقاتها: إنَّ الله تعالى، قد أعطى كلَّ شيء ما ينبغي له، إن كان منفعلًا، فعلى انفعاله الذي ينبغي، وإن كان مكانيًّا؛ ففي مكانه الذي ينبغي، وإن كان الخبر فيه أن يكون منفعلًا قابلًا للأضداد؛ فمدَّته مقسومة بين الضدَّين على العدل، إذا كان أحدهما بالفعل؛ فذلك الآخر، بالقوَّة، والذي بالقوَّة حقٌّ أن يصير بالفعل مرَّة؛ ولذلك أسبابٌ مُعدَّة مُقدَّرة بتقدير الله تعالى، وحكمة الله هيَّأت لكلِّ شيء أسبابه؛ لذلك قال الله تعالى: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ﴾ طه: ٥٠[2].

والله العالم بحقائق الأمور، ومنشؤها كذلك، سلام الله عليه.

(١) معارج نهج البلاغة: ٥٥-٥٦.

(٢) ويبقى سؤال هو ليس مورد عملنا لِمَ عبَّر عن (أجال الأشياء لأوقاتها)، ولم يقل (أجال الأمور لأوقاتها)، مع العلم أنَّ لفظ (الأمور) ورد في القرآن بصورة تقرب من هذا السياق، موردها بحثٌ يتناول (القصديَّة في نهج البلاغة)، والتوفيق بيد الله تعالى.

١٠. لاءَمَ، ولأَمَ[١].

في قول أمير المؤمنين: «ولأَمَ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا»[٢].

جاء في مقاييس اللغة: اللام، والألف، والميم أصلانِ أحدهما: الاتِّفاق، والاجتماع، والآخر: خلق رديء.

فالأوَّل قولهم: لأمت الجرح، ولأمت الصدع إذا سددت؛ وإذا اتَّفق الشيئان؛ فقد التأما، وقال:

يَظُنُّ الناسُ بالمَلِكين أنَّهما قد الْتَأَما
فإنْ تَسْمَعْ بِلأْمِهما، فإنَّ الأَمْرَ قد فَقِما

وأرى الذي أنشده ثعلب في الليم هو من هذا؛ وإنَّما ليَّن الهمزة الشاعر، ويُقال ريش لوام إذا التقى بطن قذة وظهر أخرى، ويُقال إنَّ اللومة جماعة أداة الفدان، وإذا زيَّن الرَّحل فجميع جهازه لومه.

ومن الباب اللأمة الدَّرع، وجمعها لُؤَم، وهو على غير قياس؛ وسمِّيت لأمة لالتئامها، واستلأم الرَّجلُ إذا لبس لأمةً[٣].

(١) في (أ): ٤٦: لائم، وفي النسخة (م) من التحقيق نفسه (لأمَ)، وفي سكون: ٧٠: لأمَ، وفي نسخة من التحقيق نفسه، هامش: ٣، لاءمَ، مع العلم أنَّ محقِّق الكتاب في النسخة (أ) قد كتبها في المتن خطأً (لَائَمَ) على رسم اسم الفاعل، وحرَّك النصَّ على الفعليَّة، وكتب في الهامش (٦): في (م): ولأمَ، بدل لائمَ، وهو رسم ليس صوابًا؛ لأنَّه عطفٌ على فعلٍ (أجال)، وكذلك ما قبل الهمزة مفتوحًا، مع وجود الألف؛ فتكتب الهمزة منفردةً (لاءم) مع لحاظ إرادته الفعليَّة لا الاسميَّة.
وفي (أردشير): ٧ (لأم) كتبها هكذا؛ فالخطأ في الإملاء ليس غير، وفي الفرطوسيّ: ١/ ١٧٥ (لاءم).

(٢) نهج البلاغة: ٤٠.

(٣) معجم مقاييس اللغة: ٥/ ٢٢٦.

وكلُّ شيءٍ لاءم شيئًا فقد استصحبه[1]، والَّلْأم: الاتفاقُ: وقد تلاءمَ القومُ، والْتأَمُوا: اجتمعوا واتَّفقوا، وتَلاءَمَ الشيئان إِذا اجتمعا واتصلا، ويقال: الْتأَم الفَرِيقان والرجلان إِذا تَصالحا واجتمعا؛ ومنه قول الأَعشى:

يَظُنُّ النَاسُ بالمَلِكين..

وهذا طعامٌ يُلائمُني، أَي: يوافقني، ولا تقل يُلاوِمني، وفي حديث..: لي قائدٌ لا يُلائمُني أَي يُوافِقني ويُساعدني، وقد تخفَّف الهمزة فتصير ياءً، ويروى يُلاوِمني بالواو، ولا أَصلَ له، وهو تحريف من الرُّواة؛ لأَنَّ المُلاوَمة مُفاعَلة من اللَّوْم.

ولأَم الشيءَ لأْمًا ولاءَمَه ولأَّمَه وألأَمَه: أَصلحه؛ فالْتَأَمَ وتَلأَّمَ، واللِّئْمُ: الصُّلح، مهموز، ولاءَمْت بين الفريقَين إِذا أَصلحت بينهما، وشيءٌ لأْمٌ أَي مُلْتئِم.

ولاءمْتَ بين القوم مُلاءمة إِذا أَصلحتَ وجمعتَ، وإِذا اتَّفق الشيئان فقد التَأَما؛ ومنه قولهم: هذا طعامٌ لا يُلائمُني.. وأَنشد ثعلب:

إِذا دُعِيَتْ يَوْمًا نُمَيْرُ بنُ غالب،

رأَيت وُجوهًا قد تَبَيَّنَ لِيمُها

وليَّن الهمز كما يُلَيَّنُ في اللِّيام جمع اللَّئيم، واللِّئْم: فِعْلٌ من الملاءَمة، ومعناه الصلح، ولاءَمَني الأَمرُ: وافقَني.

وريشٌ لُؤَامٌ: يُلائم بعضُه بعضًا، وهو ما كان بَطْنُ القُذَّة منه يلي ظَهْرَ الأُخرى، وهو أَجود ما يكون، فإِذا التقى بَطْنان أَو ظَهْران فهو لُغاب ولَغْب؛ وقال أَوْس بن حَجَر (ت٦٢٠م):

(١) العين: ٣/ ١٢٤.

يُـقَـلِّـبُ سَـهْـمًا راشَـــه بـمَـنـاكـبٍ
ظُـهـارٍ لُـؤامٍ، فهو أَعْـجَـفُ شـاسِـفُ[1]

وسهم لأْمٌ: عليه ريشٌ لُؤامٌ؛ ومنه قول امرئ القيس:

نَـطْـعَـنـهـم سُـلْـكَـى ومُـخْـلـوجـةً
لَـفْـتَـكَ لأْمَـــيْنِ عـلى نـابِـل[2]

ويروى: كَرَّكَ لأْمَيْنِ، ولأَمْتُ السهم، مثل فَعَلْت: جعلت له لُؤامًا.

واللُّؤامُ: القُذَذُ الملتَئِمة، وهي التي يلي بطنُ القُذَّة منها ظهرَ الأُخرى، وهو أَجود ما يكون ولأَم السَّهمَ لأْمًا: جعل عليه ريشًا لُؤامًا.

والْتَأَمَ الجرحُ التِئامًا إذا بَرَأَ، والتَحَمَ، قال الليثُ: أَلأَمْتُ الجُرحَ بالدَّواء، وألأَمْتُ القُمْقُم إذا سدَدْت صُدوعَه، ولأَمْت الجرحَ، والصَّدْعَ إذا سددته فالتأَم.

وفي حديث جابر: أَنَّه أَمر الشَّجَرَتَين فجاءتا، فلمَّا كانتا بالمَنْصَفِ لأَم بينهما.

يقال: لأَمَ، ولاءَمَ بين الشَّيئين إذا جمعَ بينهما، ووافقَ، وتلاءَمَ الشّيئان، والْتَأَما بمعْنى.

وفلانٌ لِئْمُ فلانٍ، ولِئامُه؛ أَي: مثلُه وشِبهه، والجمع أَلآمٌ، ولِئامٌ؛ عن ابن الأَعرابي..

وقالوا: لولا الوِئام هلك اللِّئام؛ قيل: معناه الأَمثال، وقيل: المتلائمون.

واللُّمَة[3] أَيضًا: الجماعة من الرجال ما بين الثلاثة إلى العشرة.

(١) ديوانه: ٧٠، تحقيق وشرح محمَّد يوسف نجم، دار صادر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
وفيه:
صـدٍ غـائـرُ لـعـيـنـيـنِ شـقَّـقَ لحمه سـمـائـمُ قـيْـظٍ فـهـو أسـودُ شـاسـفُ
فلا شاهدَ فيه حينئذٍ.

(٢) ديوانه: ١٤٩.

(٣) سنأتي عليها في كلامه عليه السلام: «قاد لـمَّةً من الغواة» بالتشديد والتخفيف.

والَّلأْمُ: الشَّديد من كلِّ شيءٍ.

والَّلأْمَةُ: الدِّرع، وجمعها لُؤَم، مِثل فُعَل، وهذا على غير قياسٍ.

وفي حديث أمير المؤمنين، كان يُحرِّضُ أَصحابَه يقول: «**تَجَلْبَبُوا السكِينةَ، وأَكمِلُوا اللُّؤَمَ**»؛ هو جمع لأْمة على غير قياس؛ فكأَنَّ واحدَته لُؤْمة، واسْتَلأَم لأْمَتَه وتلأَّمَها؛ الأَخيرة عن أَبي عبيدة: لَبِسَها.

وقدِ اسْتَلأَم الرَّجلُ إِذا لبِس ما عنده من عُدَّةٍ رُمْحٍ، وبيضةٍ، ومِغْفَرٍ، وسيفٍ، ونَبْلٍ؛ قال عنترة:

إِن تُـغْـدِفي دُوني الـقِـنـاعَ، فـإِنَّـنـي
طَـبٌّ بـأَخْـذِ الـفـارِسِ المُـسْـتَـلْـئِـمِ[1]

والمُلأَّم، بالتَّشديد: المُدَرَّع، ولـمَّا انصرف النبيّ ﷺ من الخَنْدقِ، ووضَع لأْمته، أَتاه جبريلُ عليه السلام؛ فأَمره بالخروج إِلى بني قُرَيْظة؛ اللأْمة، مهموزةً: الـدِّرعُ، وقيل: السِّلاح.

ولأْمةُ الحرب: أَداتُها، وقد يُترك الهمز تخفيفًا، ويقال للسَّيف لأْمة، وللرُّمح لأْمة، وإِنَّما سمِّي لأْمةً؛ لأَنَّها تُلائم الجسد وتلازمه؛ وقال بعضهم: الَّلأْمة الدِّرع الحصِينة، سمِّيت لأْمة لإِحْكامِها وجُودَةِ حلَقِها؛ قال ابن أَبي الحُقَيق؛ فجعل اللأْمة البَيْضَ:

بـفَـيْـلَـقٍ تُـسْـقِـطُ الأَحْـبـالَ رؤيـتُـهـا،
مُسْتَلْئِمِي البَيْضِ من فوق السَّرابِيلِ[2]

وبعد هذا العرض الذي مرَّ من المعجمات، نورد المعاني المستخرجة، والنُّكات، وهي على الآتي:

(١) شرح المعلَّقات للزوزنيّ: ٢٥٥.

(٢) لم أعثر له على ديوان.

١. إنَّ هذه المادَّة في أصلَينِ: أحدهما: الاتِّفاق، والاجتماع، والآخر: خُلق رديء، والثاني في ضمِّ لامها (لُؤم).

٢. تعني المداواة، والتَّطبيب من قولنا: لأمت الجرحَ، طبَّبته، وخيَّطتُه، وبمعنى إصلاح المنقضّ من الجدُر، والسُّقوف، من قولنا: لأمت الصَّدع إذا سددْت.

٣. اللؤمة بمعنى التَّلاؤم، وهي الدِّرع، وجمعها لُؤَمٌ[1]، وهو على غير قياس؛ وسمِّيت لأمة لالتئامها؛ ولأنَّها تلائم الجسد، وتوافقه، واستلأم الرّجل إذا لبس لأمةً.

٤. توافق الصِّيغة الصرفيَّة (تفاعل، وافتعل)، بقولنا: تلاءَمَ الشَّيئان، والْتَأَما، وهما بمعنًى؛ أي: بمعنى واحد[2]، وهذا يدلِّل على مطواعيَّة هذه المادَّة المعجميَّة.

٥. لأَم ولاءَمَ بين الشَّيئَينِ إذا جمع بينهما، وتأتي الملاءمة في الأشياء المختلفة، وبينها، ويأتي اللأم للأشياء التي فيها أدنى تناقض كلأم الجدار، ولا تقل: تلاؤم الجدار؛ لأنَّ الجدار حين انشقاقه يكون من المادَّة نفسها (الآجرِّ والطابوق).

وزبدة المخض تكون صيغة (لاءم) هي الأنسب؛ لما يأتي:

١. إنَّ هذه الصيغة تكون بين المختلفات من الأشياء.

٢. معنى الصيغة الصرفيَّة يدلِّل على المشاركة، وهي صيغة (فاعلَ).

٣. السِّياق يشير إلى المختلفات، وإنَّها بحاجة إلى تلاؤم، يقول عليه السلام «بين مختلفاتها»،

(١) كما في قول أمير المؤمنين: «تَجَلْبَبُوا السكِينَةَ، وأَكمِلُوا اللُّؤَمَ».

(٢) هذا الكلام من اللغويِّين فيه وجهة نظر، فلا يمكن أن تكون صيغة موافقة لأخرى تمامًا؛ ولربَّما يكون الاستعمال هو الحاكم في تبيان معنى هاتَين الصيغتَين الصرفيَّتَينِ، وتباينهما.

مع قولنا إنَّ هذه الصِّيغة هي المطلوبة للتَّفاعل، وهو لا يكون إلَّا بين المختلفات.

يقول ابن أبي الحديد (ت٦٥٦هـ): «أي: جعل المختلفات ملتئمات، كما قرنَ النَّفسَ الرَّوحانيَّة بالجسد الترابيّ، جلَّت عظمتُه»[١].

وعلَّل هذا التوافق بين المختلفات السيِّد الآمليّ (من القرن الثامن الهجريّ) في بحره الخضمّ، وهذا يدلِّل على كمال قدرته تعالى، وذلك بصورَتَينِ:

الأولى: إنَّ العناصر الأربعة متضادَّة الكيفيَّات؛ ثمَّ إنَّها إذا اجتمعت بقدرة الله تعالى، وعلى وفق حكمته حتَّى انكسرت صورة كلِّ واحدٍ منها بالآخرة، وهو المسمَّى بالتَّفاعل حصلت كيفيَّة متوسِّطة بين الأضداد متشابهة، وهي المزاج، فامتزاج اللطف بالكثيف على ما بينهما تضادٍّ الكيفيَّات، وغاية البعد بقُدرته التَّامَّة من أعظم الدَّلائل الدَّالَّة على كمالها.

الثَّانية: إنَّ الملاءمة بين الأرواح اللطيفة والنفوس المجرَّدة التي لا حاجة بها في قوامها في الوجود إلى مادَّة أصلًا، وبين هذه الأبدان المظلمة الكثيفة، واختصاص كلِّ نفسٍ ببدن منها، وتدبيره واستعماله في ما يعود إليها من المصالح على النِّظام الأقصد، والطَّريق الأرشد ممَّا يشهد بكمال قدرته ولطيف حكمته[٢].

يقول المجلسيّ (ت١١١٠هـ) في هذا النصّ: «أي: جعلها ملتئمةً، مؤتلفةً، كما ألَّف بين العناصر المتخالفة في الطِّباع، وبين النُّفوس، والأبدان»[٣].

والله ووليُّه أعلم بحقائق الأمور.

(١) شرح ابن أبي الحديد: ١/ ٨١.
(٢) انظر: المحيط الأعظم والبحر الخضم: ٢/ ١٨٣.
(٣) البحار: ٥٤/ ١٨٠.

١١. غَرَّزَ، وَغَرَزَ[١].

في قول أمير المؤمنين: «وغَرَّزَ غَرَائِزَهَا»[٢].

وهي أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على رزٍّ الشيء في الشيء، من ذلك غرزت الشيء أغرزه غرزًا، وغرزت رجله في الغرز، وغرزت الجرادة بذنبها في الأرض، مثل رزتُ.

والطَّبيعة غريزة كأنَّها شيء غرز في الإنسان؛ فأمَّا قولهم اغترزت الشيء، واغترزت السَّير اغترازًا إذا دنا سَيرُك؛ فمعناه تقريب السَّير؛ أي: كأنِّي الآن وضعت رجلي في غرز الرَّحل؛ وأمَّا قولهم: غرزت النَّاقة إذا قلَّ لبنُها؛ فمعناه من هذا أيضًا كأنَّ لبنَها غرزَ في جسمِها فلم يخرجْ[٣].

وغرزتُ الشيء بالإبرة أغرزه غرزًا، والغارز من النُّوق: القليلة اللبن، وقال الأصمعيّ: هي التي قد جذبتْ لبنَها فرفعته، يقال: غرزت الناقة تغرز، إذا قلَّ لبنُها، وقد غرزت رجلي في الغرز أغرز غرزًا، إذا وضعتها فيه لتركب، واغترز السَّير؛ أي: دنا المسيرُ، وأصله من الغرْز.

والغريزة: الطَّبيعة، والقريحة، وغرزت الجرادة بذنبها في الأرض تغريزًا؛ مثل رزت، والتَّغاريز: هي ما حوِّل من فسيل النَّخل، وغيره[٤].

(١) في (أ) (وغرز)، وفي نسختَين من التحقيق نفسه (الهامش:٧) الصحيفة: ٤٦ نسخة (م، ن) (وغرَّز)، وفي نسخة (سكون): (غرَّز)، وفي (هامش: ٤) الصحيفة: ٧٠: (وغرزَ)، وفي نسخة ابن أردشير الطبريّ (غرَّز): انظر: الصحيفة: ٧ منه، حصلت على هذه النسخة بتاريخ ١٩/ ٤/ ٢٠٢٠؛ فرجعت إلى هذا الموضع لأثبته فيه؛ كما أنِّي رجعت إلى المتقدِّمات فوثَّقتها منه.
وفي الفرطوسيّ: ١/ ١٧٦ (غرَزَ) على التخفيف؛ والغريب أنَّ ابن المؤدّب حرَّكها بالتشديد (غرَّز)، انظر: الصحيفة: ٥ منه.

(٢) نهج البلاغة: ٤٠.

(٣) معجم مقاييس اللغة: ٤/ ٤١٦.

(٤) انظر: الصِّحاح: ٣/ ٨٨٨.

وفي الأساس: يُقال للرَّجل غرِّز ناقتك فيتركها عن الحلْب حتَّى تغرز، وقد غرزت غرازًا، وهي غارز، وهو من الغرز، وفلان غارز رأسه في سنة، وما طلع السّماك إلَّا غارزًا ذنبه في برد، وهو الأعزل يطلع لخمس خلتْ من تشرين الأوَّل.

ومن المجاز: اطلبِ الخير في مغارسه، ومغارزه وابغِ الكرم في معادنه، ومراكزه، واغترز الرَّجل، وغرز رجلَه في الرِّكاب إذا ركب[1].

وفي ضوء ما سبق يتبيَّن لنا معنى هذه المادَّة، وهي:

١. غرزُ الرِّجل في الأرضِ، وفي الرِّكاب.

٢. الطَّبيعة غريزة في الإنسان.

٣. دنوِّ السَّير، وتقريبه.

٤. غروز النَّاقة، اقتلال لبنها؛ فهي غارز، أو ترك النَّاقة حتَّى تمتلي حليبًا.

٥. كِلَا الاستعمالين ذو جذرٍ واحد، لكنَّ الفرق هو في الصيغة (فَعَلَ، وفَعَّلَ).

وبعد هذا وذاك، يقول ابن أبي الحديد: «قوله: وغرَّز غرائزها، المرويُّ بالتَّشديد، والغريزة الطَّبيعة، وجمعها غرائز، وقوله: غرَّزها؛ أي: جعلها غرائز، كما قيل: سبحان من ضوَّأ الأضواء! ويجوز أن يكون من غرزت الإبرة بمعنى غرستُ، وقد رأيناه في بعض النُّسخِ بالتَّخفيف»[2].

وبعد هذا العرض يكون معنى قوله: «وغرَّز غرائزها»، أوجد طبائعها، ومباديها، ومنتهاها.

(١) أساس البلاغة: ٦٧٥.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١/ ٨١.

ويبدو أنَّ قراءة (غرَّز) بالتَّشديد أفضل، وأنسب للسِّياق، باعتبار أنَّ الغرائز كثيرة، ويناسب هذا الكثير مسألة التَّشديد؛ فكلُّ زيادة في المبنى تكون الزيادة في المعنى؛ وكلُّ تغيير في المبنى يصحبُه التغييرُ في المعنى؛ فغرزَ بالتَّخفيف يدلُّ على القلَّة إذا ما وضعنا قباله (غرَّز) التي تدلُّ على الكثرة.

وأمَّا وجه المشابهة بينها، وبين العُود الَّذي يركز في الأرض من جهة المبدأ، ومن جهة الغاية، كما ذكرنا آنفًا.

وأمَّا ما جاء في شروح النهج؛ فيقول الرَّاونديّ: «والغريزة: الطَّبيعة، وغرزها الله في الخلق بالتَّخفيف، والتَّشديد؛ أي: ركَّبها فيهم، وهذا يجوز أن يكون تجنيسًا؛ لأنَّه من غرزت الإبرة في شيء، وغرزت الجرادة بذنبها إذا جعلته في الأرض، ويجوز أن يكون فعلًا مشتقًّا من الغريزة»[1].

ويقول ابن ميثم: وغرَّز غرائزها: إشارة إلى ركن القوى الجسمانيَّة النَّفسانيَّة فيما هي قوى له، وخلق كلُّ ذي طبيعة على خلقه ومقتضى قواه التي غرَّزت فيه من لوازمه وخواصَّه مثلًا كقوَّة التعجُّب، والضَّحك للإنسان، وقوَّة الشَّجاعة للأسد، والجُبن للأرنب، والمكر للثَّعلب، وغير ذلك، وعبَّر عن إيجادها فيها بالغرز وهو الرَّكز استعارةً لما يعقل من المشابهة بينها وبين العود الذي يُركز في الأرض من جهة المبدأ، ومن جهة الغاية، وذلك أنَّ الله سبحانه لـمَّا غرَّز هذه الغرائز في محالِّها وأصولها، وكانت الغاية من ذلك ما يحصل منها من الآثار الموافقة لمصلحة العالم أشبه ذلك غرز الإنسان العود في الأرض لغاية أن يُثمر ثمرة منتفعًا بها[2].

(١) منهاج البراعة: ١/ ٥٢-٥٣.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم: ١/ ١٣٦، وانظر: مفتاح السعادة: ١/ ١٦٢.

١٢. أَشْباحَهَا، وأَسْنَاخَها[١].

في قول أمير المؤمنين: «وأَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا»[٢].

قال البيهقيّ: «ويُروى: ألزَمَها أَسْناخَها؛ أي: أصولها، وإن روى: أشباحَها؛ فأراد به المركَّب»[٣].

وفي بعض الشروح، كشرح ابن ميثم: ١/ ١٣٦، ومفتاح السعادة: ١/ ١٦٢ (أسناحها)، بالحاء غير المعجمة، والحقيقة ما وردَ تصحيفٌ فاحشٌ، فضلًا عن تفرُّد العلَمَينِ بهذه الرواية؛ فالتَّصحيف وردَ عند شرح ابن ميثم المملوء بهكذا أمور، وأخذ اللاحق عن السَّابق، لذا لا نعدُّها من الرِّوايات، ولن نقوم بتوجيهها.

والآن نمضي إلى المعجمات نستنطقها؛ لنحوز المعاني المتوخَّاة للفظَينِ، ونبدأ بـ(أشباحها) مع عدِّ الأصل[٤] (أشباحها)، وما سواه رواية:

قال في المخصَّص: «ويُقال: شَبْح، وشَبَح للشَّخص..»[٥].

ويعني به كلَّ إنسان ذي روحٍ، وشاخصٍ؛ أي: لهُ قوام.

وفي الأساس «لاح لي شبحُ شخصٍ، وهم أشباح بلا أرواح، وأدقُّ من شبح باطل، وهو الهباء، وقيل الأسماء ضربان: أسماء الأشباح، وهي التي أدركتها الرُّؤية والحسّ،

(١) في (أ): ٤٧ (أشباحها)، وفي النسخة (ل) من التحقيق نفسه (أسناخها)، وفي (سكون): ٧٠ (أشباحها)، وفي الهامش رقم (٥) كتب المحقِّق (في نسخة أسناخها، بدل أشباحها)، وفي (أردشير): ٧: (أشباحها)، وفي الفرطوسيّ: ١/ ١٧٦ (أشباحها)، وفي الهامش: ٢ (ع: أسناخها، وكذا في حاشية الأصل من دون الإشارة إلى نسخة).

(٢) نهج البلاغة: ٤٠.

(٣) معارج نهج البلاغة: ٥٧.

(٤) إلَّا السبزواريّ في شرح الأسماء الحسنى: ٢/ ٩٩؛ فعدَّ (أسناخها) الأصل.

(٥) المخصَّص: ج٤/ ق٣/ ٨١.

وأسماء الأعمال وهي التي لا تدركها الرُّؤية، ولا الحسّ، وهو كقولهم أسماء الأعيان، وأسماء المعاني وشبحَ الإهابَ مدَّهُ بين الأوتاد وشبحه، وشبحه بين العقابَين، ورجل مشبوح الذِّراعين وشبح الدَّاعي مدَّ يديه في الدُّعاء، ورفعَهما»[1].

وفي اللسان: الشَّبَحُ: ما بدا لك شخصُه من النَّاس وغيرهم من الخلق، يقال: شَبَحَ لنا أي مَثَلَ؛ الشَّبْحُ، والشَّبَحُ: الشَّخص، والجمع: أَشباح، وشُبوح.. وهو ما أَدركته الرُّؤيةُ، والحِسُّ.

ورجل شَبْحُ الذِّراعينِ، بالتَّسكين، ومَشْبُوحُهما؛ أَي: عريضهما، وفي صفة النبيّ ﷺ: أَنَّه كان مَشْبُوحَ الذِّراعَين؛ أَي: طويلَهما، وقيل: عريضهما؛ وفي رواية: كان شَبْح الذِّراعين.

وشَبَحه: مَدَّه كالمصلوب، وشَبَحَ يديه يَشْبَحُهما: مدَّهما؛ يقال: شَبَحَ الدَّاعي إِذا مَدَّ يده للدُّعاء، نَزَعَ سَقْفَ بيتي شَبْحَةً، شَبْحَةً؛ أَي: عودًا، عودًا، وكساء مُشَبَّح: قويٌّ شديد.

وشبحَ لك الشيءُ: بدا، وشَبَح رأْسَه شَبْحًا: شَقَّه، وقيل: هو شَقُّك أَيَّ شيء كان[2].

يقال: هَلَكَ أَشْباحُ مالِه، أَشْبَاحُ مالِك: ما يُعْرَف من الإِبل، والغنم وسائرِ المواشي[3]، ويعني به قوام ماله.

ومِمَّا مضى تستبينُ لنا مجموعةٌ من المعاني، بحسب سياقاتها:

١. ورود مادَّة (شبْح)، و(شبَح) بالتَّسكين، والتَّحريك.

(١) أساس البلاغة: ٤٧٦.
(٢) انظر: اللسان: ٢/ ٤٩٤-٤٩٥.
(٣) انظر: تاج العروس: ٤/ ١٠٠.

٢. قوام الإنسان الخالي من الرُّوح (المقوِّم).

٣. الهباء، أدقُّ من شبح باطل؛ من هبائه.

٤. كلُّ مُدرك بالرؤية، والحسِّ.

٥. مدُّ الشيء؛ فمشبوح الذِّراعين، ممدودهما، وطويلهما، الطُّول المادِّي؛ كأن تكون يده طويلة مشبوحة، أو المشبوحة الطُّول المعنويّ؛ كناية عن الكرم.

٦. قِوام الشيء؛ بأشباح مالِهِ، وحلاله، وإبله، وما شاكلها.

فهذه المعاني الستُّ مستنبطةٌ من المعجمات العربية؛ إذن ما معنى «**ألزمها أشباحها**»، وما هذا الإلزام؟.

قد يكون الأوَّل، القوام الخالي من الرُّوح، يعني ألزمها قوامها المادِّي.

أو الدقَّة، مع التحفُّظ على التَّمثيل، يعني ألزمها أشباحها التي هي من الدقَّة بمكانٍ.

أو ألزمها ما هو مُدرَك منها بالحسِّ، والعَيان.

أو ألزمها البسطة بالجسم، بمدِّه، ومرونته.

قد يكون كلُّ واحدٍ منها هو المطلوب[١]، ولكن لو تأمَّلنا هذه المعاني من الصحَّة تطبيقها على هذا النصّ؛ فالأشباح هو قوام الرُّوح، وهي من الدقَّة ما يجعلها حاملة له، وكذلك ما يخصُّ المرونة، والإدراك بالحسِّ.

أمَّا عن الشَّارحين، فلم يزيدوا ما زادوهُ عن معنى الأصل، والقِوام[٢]، والأشخاص[٣]، منفردين.

(١) لاحظ: شرح فصوص الحكم، للكاشانّي: ١٥١، فيه ما نعني.

(٢) شرح ابن ميثم البحرانيّ: ١/ ١٣٦.

(٣) انظر: شرح ابن أبي الحديد: ١/ ٨١.

أمَّا عود الضَّمير في اللفظة (أشباحها)؛ فهو قد يكون عائدًا إلى جِهَتَين:

الأولى: إلى الغرائز؛ أي: ألزم الغرائز أشباحها؛ ما يعمُّ قوامها، وأشخاصها، وأصلها؛ لأنَّ كلًّا مطبوعٌ على غريزة لازمة؛ فالشُّجاع لا يكون جبانًا، والبخيل لا يكون جوادًا، وكذلك كلُّ الغرائز لازمة، لا تنتقل[1].

الثاني: إلى الأشياء، كان المراد أنَّ الله سبحانه لـمَّا أجال الأشياء لأوقاتها، ولاءم بين مختلفاتها، وغرَّز غرائزها في علمه وقضائه ألزمها بعد كونها كلِّيَّة أشخاصها الجزئيَّة التي وجدت فيها، لا يقال: إنَّ لوازم الماهيَّات مقتضى الماهيَّات؛ فكيف يمكن نسبة إلزامها لأصولها إلى قدرة الله تعالى؛ لأنَّا نقول: المستند إلى ماهيَّة الملزوم ليس إلَّا ماهيَّة لازمه، وأمَّا وجوده له فبقدرة الله تعالى؛ فيكون معنى إلزامها لأصولها إيجادها في أصولها تبعًا لإيجاد أصولها على تقدير وجودها[2].

إرجاع الضمير إلى اللفظين، على رواية (أشباحها).

والآن نمضي إلى (السُّنخ) بحسب ما سيعنُّ لنا في المعجمات:

وهي حفرت أسناخ أسنانه، وسنخت اثتكلت أصولها، ومن المجاز سنخ الطعام، وطعام سنخ، وأصله من سنخ الأسنان[3].

أقول: ويعني بها الجذور، والأصول.

وفي النِّهاية: حديث أمير المؤمنين «**ولا يظمأ على التَّقوى سنخ أصل**»؛ فالسَّنخ والأصل واحد؛ فلمَّا اختلف اللفظان أضاف أحدَهما إلى الآخر[4].

(١) شرح ابن أبي الحديد: ١/ ٨١.
(٢) شرح ابن ميثم البحرانيّ: ١/ ١٣٦، ولاحظ: تفسير المحيط الأعظم: ٢/ ١٨٣.
(٣) أساس البلاغة: ٤٦١.
(٤) النهاية: ٢/ ٤٠٨.

السِّنْخُ: الأَصل من كلِّ شيء، والجمع أَسْناخ وسَنُوخ، وسِنْخُ كلِّ شيء: أَصله، وسِنْخُ السِّكِّين: طَرفَ سِيلانِه الداخلُ في النِّصاب، وسِنْخُ النَّصْل: الحديدة التي تدخل في رأْس السَّهم.

وسِنْخُ السَّيف: سِيلانُه، يعني خروجه من الغمد، وأَسْناخُ الثَّنايا والأَسْنانِ: أُصولها، والسَّناخَةُ: الرِّيح المُنْتِنة والوَسَخُ، وآثار الدِّباغ، ويقال: بَيْتٌ له سَنْخَةٌ، وسنَاخة؛ قال أَبو كبير:

فَدَخَلْتُ بيتًا غيرَ بيتِ سَناخة
وازْدَرْتُ مُزْدارَ الكَريمِ المِفْضَلِ[1]

يقول: ليس ببيت دِباغٍ ولا سَمْن.

وسَنِخَ الدُّهْنُ والطعامُ وغيرهما سَنَخًا: تغيَّر، وسَنَخَ في العلم يَسْنَخُ سُنُوخًا: رَسَخ فيه وعَلا[2].

وفي مجمع البحرين لم يذكرْ سوى معنى واحدٍ، وهو الأصل: السِّنخ: بالكسر من كلِّ شيء: أصلُه، والجمع أسناخ، مثل حمل وأحمال؛ ومنه الحديث: التَّقْوى سِنخُ الإيمان[3].

وممَّا مضى لنا تصوُّر المعاني الكليَّة لـ(سنخ):

١. أصول الأسنان، وأواسطها.

٢. الأصل، وهو مرادف للسَّنخ؛ فعندما أضافهما بطريقة إضافة الشيء إلى مرادفه.

٣. الأصل من كلِّ شيءٍ في الجملة.

(١) انظر: شرح أشعار الهذليِّين: ١٠٧٩، والشاعر هو أبو كبير الهذليّ.
(٢) اللسان: ٣/ ٢٦-٢٧، وانظر: التاج: ٤/ ٢٧٩.
(٣) مجمع البحرين: ٢/ ٤٣٥، التاج: ٤/ ٢٧٩.

٤. طرف الشيء، وبدايته، وخروجه من بيته، كخروج السَّيف من غمده، وسيلانه.

٥. الرُّسوخ، مأخوذ من سنخ في العلم؛ أي: رسخَ، وعَلا.

٦. الجِنس، والنَّوع، وهذا المعنى نحنُ في الوقت الحاضر نستعمله، ويستعمله علماء الأصول، وهو قولنا: (هذا من سُنخ هذا)؛ أي: من جنسه، ونوعه، وهو غير مذكور في المعجمات العربيَّة بهذا المعنى.

وهذه المعاني التي هي الأصل من كلِّ شيء، إجمالًا، وغيرها، طرف الشيء وبدايته، لها جامع واحدٌ، ورباط مستقلٌّ.

أمَّا الرُّسوخ، والعلوّ فهو ذو دلالةٍ جديدة، إلَّا أنَّ المعنى هذا يستقيم والدَّلالة السِّياقيَّة للنصِّ (ألزمها = رسوخها = ثباتها)، بأن جعل لها ثوابتَ، وخِلقة لا تحيد عنها.

والمعنى الأخير الذي يدخل دائرة الاستعمال؛ فهو: من سنخه؛ أي: من نوعه، وجنسه، فهو لا يبعُد عن الصَّواب بالجملة؛ ولكن بعد لطفِ عناية، وتأويل.

وفي كلِّ الشروح، سواء العامَّة لنهج البلاغة، أو التي تناولت هذه الخطبة، تجعل الأصل (أشباحها)، وتجعل (أسناخها) رواية؛ إلَّا السَّبزواريّ صاحب المنظومة؛ فهو بعد ذلك سار بطريقَينِ مختلفَينِ:

الأوَّل: هو اعتمد رواية (أسناخها).

الثاني: عود الضَّمير لم يحتمل رجوعه مرَّة إلى الغرائز، كما قطع بذلك ابن أبي الحديد، وأخرى إلى الاشياء، والغرائز كابن ميثم البحرانيّ بل قطع بأمرٍ مغاير لابن أبي الحديد،

ووافق ابن ميثم في واحدٍ من رأييه؛ فيقول: أن يكون أسناخُها بالسِّين المهملة، والنُّون والخاء المعجمة جمعَ السَّنخ بمعنى الأصل، والضَّميرُ يكون راجعًا إلى (الأشياء) مُطلقًا؛ أي: أبقى أصولها؛ لأنَّ الأنواع محفوظة بتعاقب أشخاصها، أو أرجعها إلى أصولها، وهي العقول التي في الطَّبقة المتكافئة، كما أنَّها راجعة إلى أصل الأصول، وهو الله سبحانه[1].

وبعد هذا، وذاك، لا يمكن أن نرجِّح رواية المشهور، أو نمضي مع صاحب المنظومة؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ من هذه الروايات لها ما يعضِّدها، ويقوِّيها؛ لاسيَّما وأنَّ بعض الشَّارحين يفترض في شرحه الرِّواية، ويوجهها، ويعطيها معنًى مقبولًا. والله ووليُّه أعلم بالمراد.

١٣. أَحْنائِها، أَخْتَانِها، أَحْيانِها[2].

في قول أمير المؤمنين: «عَارِفًا بِقَرَائِنِهَا وأَحْنَائِهَا»[3].

«.. ويُروى: وأحنائها، ويُروى: وأختانها؛ أي: أمثالها»[4].

فههنا اتَّفقت نُسَخُ (المشهور)، و(ضبط ابن السكون الحِلِّيّ)، (وابن أردشير الطبريّ)، والفرطوسيّ على (أحنائها)، ولكن الفرق في نسخةٍ أُخرى من نُسخ المشهور، وهي النُّسخة (ل)، وهي النُّسخة المرويَّة شيخًا عن شيخٍ عن الشَّريف الرضيّ، من نُسخ الكلبايكانيّ ذات الرقم (٥٢٠٦٥)، وهي أهمُّ نُسخ التَّحقيق، كما ذكر العطَّار في

(١) شرح الأسماء الحسنى، السبزواريّ: ٢/ ٩٩.

(٢) في (أ): ٤٧ (وأحنائها)، وفي الهامش٣ من الصحيفة نفسها (في نسخة ل: وأحيانها)، وفي (سكون): ٧٠ (وأحنائها) وحسب، وفي (أردشير): ٧ (وأحنائها)، وفي الفرطوسيّ: ١/ ١٧٦ (وأحنائها).

(٣) نهج البلاغة: ٤٠.

(٤) معارج نهج البلاغة: ٥٧.

وصفها[١]، مع أنّه لم يتَّخذْها أصلاً لسببٍ ذكرهُ في محلِّه.

وكذلك ما رواه البيهقيّ في معارجه في إحدى روايتيهِ (وأختانها) من الختن، وهو المِثْل[٢]، وهو وجهٌ.

يعني أنَّ الروايَتَين اتَّفقتا على (أحنائها) في المتن، والنُّسخ، والشُّروح اختلفتْ في الرِّواية.

وسنقوم وعلى طريقتنا بالشَّرح اللغويّ لكلِّ روايةٍ، وأبدأ بـ(أحنائها):

الحنو: كلُّ شيءٍ فيه اعوجاج، والجميع: الأحناء، تقول: حنو الحجَّاج، وحنو الأضلاع، وكلُّ ما كان من خشبٍ قدِ انحنى، من إكافٍ، وسُرُجٍ، وقُتُبٍ: حنو، وكلُّ منعرجٍ من جبالٍ وأودية، وقفار: حنو، وحنيته حنيًا، وحنوته حنوًا إذْ عطفته، والانحناء الفعل اللازم، والتحنِّي مثلُه.

وأحناءُ الأمور: مشتبهاتها[٣].

وفي المقاييس: الحاء، والنُّون، والحرف، المعتلُّ أصلٌ واحدٌ يدلُّ على تعطُّفٍ، وتعوَّج، يقال حنوتُ الشيء حنوًا، وحنيته إذا عطفته حنيًا، وحنو السَّرج سمِّي بذلك أيضًا، وجمعه: أحناء، ومنه حنتِ المرأةُ على ولدها تحنو، وذلك إذا لم تتزوَّج من بعد أبيهم، وهو من تعطُّفها عليهم، وناقة حنواء في ظهرها احديداب، وانحنى الشيء ينحنِي انحناءً[٤].

وفي اللسان: حَنَا الشيءَ حَنْوا، وحَنْيا، وحَنَّاه: عَطَفه؛ قال يزيد بن الأَعْوَرِ الشَّنّي[٥]:

(١) نهج البلاغة: ١٨.
(٢) انظر: معارج نهج البلاغة: ٥٧.
(٣) انظر: العين: ٣/ ٣٠٢.
(٤) مقاييس اللغة: ٢/ ١٠٨.
(٥) لم أعثر له على ديوان، ولكن صاحب اللسان، ابن منظور استشهد بشعره ستّ مرَّات في لسان=

يَـــدُقُّ حِـــنْـــوَ الـقَـتَـب المُـحَـنَّـا

إذا عَـــلا صَـــوَّانَـــه أَرَنَّـــا

والانْحِناءُ: الفعل اللازم، وكذلك التَّحَنِّي، وانْحَنى الشيءُ: انعطف، وانْحَنى العُودُ وتَحَنَّى: انعطف، يقال: حَنَى يَحْني ويَحْنُو[1]، باللغتين، واللفظين.

وحَنا يدَ الرجلِ حَنْوًا لَواها، وقال في ذوات الياء: حَنى يَدَه حِنايَةً لواها.

وحَنى العُودَ والظَّهْرَ: عَطَفَهُما، وحَنى عليه: عَطَف، وحَنى العُودَ: قَشَره[2].

قال ابن منظور: والأَعْرفُ في كلِّ ذلك الواو، ولذلك جعلنا تَقَصِّيَ تصارِيفه في حَدِّ الواو[3].

وابن سيده نراه ذكره من ذوات الياء، والواو مرَّة أخرى، وفي موضعَين مختلفَين[4].

والتَّعبير بالياء، يدلُّ على تعطُّفٍ خاصٍّ، وانحناء كثير في الظَّاهر أيضًا؛ فإنَّ التخفيف، والانكسار في الياء أشدّ؛ فيكون التعطُّف فيها أيضًا أشدّ[5].

وممَّا مضى من معانٍ، لنا أن نذكر معانيَ المادَّة الماضية:

=العرب، وهو ليس بشر بن منقذ العبديّ المشهور بالأعور الشنيّ (ت ٥٠هـ)، ويقال له (الأعور الشنيء).

ومع ذلك بحثت في ديوانه الذي قام بإخراجه الأستاذ ضياء الدين الحيدريّ، المطبوع في بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ولم أجده.

(١) اللسان: ١٤/ ٢٠٢-٢٠٣.

(٢) المصدر نفسه: ١٤/ ٢٠٤.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المخصَّص: ١/ ق٢-٦٢.

(٥) التحقيق في كلمات القرآن: ٢/ ٢٩٩.

١. الاعوجاج، والانحناء للأشياء، والليُّ، والانحناء هنا المادِّيّ، وسيأتي صنوهُ.
٢. العطف والتحنُّن، ومن لوازم الانحناء غير الثابتة، والانحناء والتعطُّف هنا مجازيّ؛ فأحناء الأمور ما فيها من الاشتباه، والاعوجاج.
٣. القشْر، من: حنى العود (يائيّ).
٤. رأي استحساني جدير بالاهتمام، وهو أن اليائيّ تعطُّفه خاصٌّ، والواويّ أقلّ منه.

وبهذا يكون المعنى: (عارفًا بقرائِنها، وجوانبِها).

والأحناء هنا: جمع حنو، بمعنى الجانب، وفي الأوقيانوس: أنَّه يقال: على العضو المعوجّ، كالحاجب ونحوه، وعلى كلِّ شيء معوج من الشَّجر وغيره، ولم يذكرْ مجيئه بمعنى الجانب، وإرادة كلٍّ من المعنَيَين صحيحة في المقام، ولا بأس بهما[1].

أقول: قد يكون المعنى جمع حنو- بالكسر: أي: الجانب؛ كنايةً عمَّا خفيَ.

أمَّا (قرائنها) المعطوفة عليها (أحنائها)؛ فقد ذكر ابن أبي الحديد أنَّ القرائن جمع قرونة، وهي النَّفس، والأحناء الجوانب، جمع حنو، يقول: إنَّه سبحانَه عارف بنفوس هذه الغرائز التي ألزمها أشباحَها، عارف بجهاتها، وسائر أحوالها المتعلِّقة بها، والصادرة عنها[2].

وفي منهاج البراعة: القرائن: جمع القرينة، والمراد بها هنا النَّفس النَّاطقة كالقرونة، قال في الأقيانوس: يقال: أسمحَتْ قرينةٌ، وقرينتُهُ، وقُرونه، وقرونتُهُ؛ أي: ذلَّت نفسُه، ومنه يُعلم ما في كلام الشَّارح المعتزليّ، إذْ جعلها جمع قُرونة من الضَّعفِ، والفساد[3].

(١) انظر: منهاج البراعة: ١/ ٣٥٣.
(٢) انظر: شرح ابن أبي الحديد: ١/ ٨١.
(٣) انظر: منهاج البراعة، الخوئيّ: ١/ ٣٥٣.

إلَّا أنَّ للبيهقيّ رأيًا آخر، وهو أنَّ «**عارفًا بقرائنها وأحنائها**»، القرينة، هي الصَّاحبة، الجمع القرائن، ويقال: دور قرائن يستقبل بعضُها بعضًا، والأحناء كذلك عنده بمعنى: الجوانب[1].

يعني فسَّر القرينة بالمستعمل المصطلحيّ للقرائن الموجودة في اللغة، ويعني بها (التتابع)، وفيها معنى لطيف هو أنَّه جلَّ علاهُ يعلم تتابع النَّفس، وما فيها من إقبال وإدبار؛ فتتابعها مرَّةً تقدُّمي (إقبال)، وأخرى (رجعيّ) إدبار؛ فسبحان من بيده نفسي، ونفوس الخلق، وسبحان من خلق مولى الموحِّدين؛ فجعل عمله، وقوله حمَّالًا ذا وجوه، سبحان الله!!.

وأمَّا (أختانها)، ففي العين: ختن يختن ختنًا فهو مختون، والختانة صنعته، والختان ذلك الأمر كلُّه وعلاجه، والخِتان أيضًا، موضع القطع من الذَّكَرِ، والخِتن: الصِّهر، والخَتن أيضًا، وخاتنتُ فلانًا مخاتنةً، وهو الرَّجلُ المتزوِّج في القوم، والأبوان أيضًا خِتْنا ذلك الزَّوج.

والرَّجل ختنٌ، والمرأة خِتنة: والختن: زوج فتاة القوم، ومن كان قبله من رجل وامرأة، كلُّهم أختان لأهل المرأة، وأمُّ الزَّوج حماة للمرأة، وأبوه حموها[2].

وأَصل الخَتْن: القطعُ.

ويقال: أُطْحِرَتْ خِتانَتُه إذا اسْتُقْصِيَتْ في القَطْعِ، وتسمَّى الدَّعْوةُ لذلك خِتانًا، وخَتَنُ الرَّجلِ المُتزوِّجُ بابنته أَو بأُخته؛ قال الأَصمعيّ: ابن الأَعرابيّ: الخَتَنُ أَبو امرأَة الرَّجل وأَخو امرأَته وكلُّ من كان من قِبَلِ امرأَته، والجمع أَخْتانٌ، والأُنثى خَتَنَة.

وخاتَنَ الرَّجلُ الرَّجلَ إذا تَزَوَّجَ إليه.

(١) انظر: معارج نهج البلاغة: ٥٧.

(٢) العين: ٤/ ٢٣٨، وانظر: مقاييس اللغة: ٢/ ٢٤٥.

وفي الحديث: عليٌّ خَتَنُ رسول الله ﷺ؛ أي: زوجُ ابنتِه، والاسم الخُتُونة.

الأَحْماءُ من قِبَل الزّوج، والأَخْتانُ من قبل المرأَة، والصِّهْرُ يجمعُهما[1].

وختن الخاتن الغلام من باب ضرب: فعل به ذلك؛ فهو مختون، والجارية مختونة.

والخَتَن بفتحَتَين: كلُّ مَن كان من قِبَل المرأة، مثل الأب، والأخ، وهم الأختان، هكذا عند العرب[2].

وأمَّا العامَّة فعندهم أنَّ ختنَ الرَّجل زوجُ ابنتِه، كذا قاله الجوهريُّ[3].

وممَّا سرى، ننظر إلى المعاني لهذه المادَّة، وهي:

١. القطع مأخوذ من قطع الذَّكر.

٢. الرَّجل المتزوِّج من القوم.

٣. زوج البنت، أو قريب القوم من جهة النِّساء، يساويه الحمو، وهو من جهة الرِّجال.

فالملحوظ في هذه المادَّة هو الصِّلة، وحتَّى مسألة الختان؛ فإنَّها بالنَّتيجة صلةٌ مستحبَّة في الرَّجل، تكون بقطع الزَّائد من الذَّكر؛ فهو صلةٌ باعتبار ما سيكون به، ووصله بالختن الآخر للمرأة، ولهذا قيل: «يجب الغسلُ إذا التقى الختانِ»، ولا يلتقي الختنان ما لم تُزَلِ العوائق بالقطع.

أمَّا مسألة الصِّلة في (الرَّجل المتزوِّج)، و (زوج البنت، أو قريب القوم) فواضحةٌ؛ وهي صلة المصاهرة، وتلاقي الدِّماء، وتزايدها.

(١) اللسان: ١٣/ ١٣٨.

(٢) انظر: مجمع البحرين: ٦/ ٢٤٢.

(٣) لاحظ: الصِّحاح: ٥/ ٢١٠٧.

ومهما يكن من أمر، فالمعنى يكون، والله العالم، عارفًا بما تصلُه من خيرٍ وغيره، أو ما تصلُه من كمالاتٍ معنويَّة، وماديَّة؛ فمن وصل إلى مبتغاه الأخرويّ، والحضرة الملكوتيَّة؛ فهو من الواصلين، وهي غاية المُراد.

وأمَّا (أحيانها): أصلٌ واحدٌ؛ ثمَّ يحمل عليه، والأصل الزَّمان؛ فالحين الزَّمان قليلهُ، وكثيرُه، ويُقال عاملتُ فلانًا محاينةً من الحين، وأحينت بالمكان أقمتُ به حينًا، وحان حين كذا؛ أي: قرُب.

قالت الشَّاعرةُ:

وإنَّ سلـوّي عـن جميـلٍ لساعـةٌ
من الدَّهر ما حانتْ، ولا حان حينُها[1]

ويُقال: حينت الشَّاة إذا حلبتها مرَّة بعد مرَّة، ويُقال: حينتها جعلت لها حينًا، والتأفين أن لا تجعل لها وقتًا تحلبُها فيه.

وقال الفرَّاء: الحين حينان: حينٌ لا يوقف على خدِّه، وهو الأكثر، وحين ذكره الله تعالى: ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ إبراهيم: ٢٥؛ وهذا محدودٌ؛ لأنَّه ستَّة أشهر.

وأمَّا المحمول على هذا، فقولهم للهَلاك حينٌ، وهو من القياس؛ لأنَّه إذا أتى، فلا بدَّ له من حين؛ فكأنَّه مسمَّى باسم المصدر.

(١) البيت في الأغاني: ٨ / ٣٣١، وهو لبثينة حبيبة جميل، وفي تاريخ مدينة دمشق: ٦٩/ ٦٢ «إنَّه لمَّا مات جميل بن معمر، رثته بثينة بهذَين البيتَين، ويقال إنَّها لم تقل غيرهما:

وإنَّ سلـوّي عـن جميـلٍ لساعـةٌ ... من الدهر ما جاءت ولا حان حينها
سـواء علينا يا جميل بن معمر ... إذا مت بأساء الحياة ولينها»

يلاحَظ هنا أنَّ ابن عساكر قد أوردها برواية أخرى (ما جاءت)، وفي الصحيفة نفسها وقَبلَ سطرَين رواها (جانت)، ويبدو أنَّ الأمر فيه آفة التَّحريف.

قال ابن عبَّاس (ت٦٨هـ) الحين حينان: حينٌ يُعرف، وحين لا يُعرف؛ فأمَّا الحينُ الذي لا يُعرف: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ﴾ ص: ٨٨؛ وأمّا الحينُ الذي لا يعرف فقوله: ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ إبراهيم: ٢٥[1].

إذن هذا الرَّأي لابن عبَّاس، وليسَ للفرَّاء.

إذن لا يخرج معنى هذا اللفظ عن الاستعمال الزَّمانيّ، والوقتيّ.

فأحيانُها هنا بمعنى أوقاتها، وآجالها؛ فيكون المعنى: عارفًا بقرائنها، نفوسها إن قلنا إنَّها المراد وأوقاتها، وآجالها.

أو قرائنها إن كانت بمعنى الصَّاحبة على رأي البيهقيّ، أو النَّفس النَّاطقة، أو مطلق النَّفس على رأي غيره وآجالها.

إنارةٌ، وفوائد:

أقول: المنصوبات الثَّلاثة في قوله عليه السلام: «**عَالِمًا بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا، مُحِيطًا بِحُدُودِهَا وانْتِهَائِهَا، عَارِفًا بِقَرَائِنِهَا، وأَحْنَائِهَا**»[2]؛ وهي قوله: (عالماً، ومحيطًا، وعارفًا) منصوبة على الحال، والعامل فيها قوله (ألزمها) إعمالًا للأقرب، والأحوال الثلاثة مفسِّرة لمثلها عقيب الأفعال الثَّلاثة الأوَّل؛ إذ كانتْ صالحة؛ لأن يكون أحوالًا عنها، والمراد في القضيَّة الأولى إثبات الأفعال الأربعة له حال كونه عالمًا بالأشياء قبل إيجادها حاضرة في علمه بالفعل كلِّيُّها وجزئيُّها، وفي القضيَّة الثانية نسبة تلك الأفعال إليه حال إحاطة علمه بحدودها، وحقائقها المميِّزة لبعضها من بعضٍ، وإنَّ كلًّا منتهٍ بحدِّه واقفٌ عنده، وهو نهايته وغايته، ويحتمل أن يريد بانتهائها انتهاء كلِّ ممكنٍ إلى سببه، وانتهاء الكلِّ في سلسلة الحاجة إلى الله، وفي القضيَّة الثَّالثة نسبة الأفعال إلى قدرته حال علمه بما يقترن

(١) انظر: جامع البيان، تفسير الطبريّ: ١٣/ ٢٧٤.
(٢) نهج البلاغة: ٤٠.

بالأشياء من لوازمها وعوارضها، وعلمه بكلِّ شيء يقترن بشيء آخر على وجه التَّركيب، أو المجاورة كاقتران بعض العناصر ببعض في أحيازها الطبيعيَّة على الترتيب الطَّبيعيّ، وعلمه بأحنائها وجوانبها التي بها تنتهي، وتقارن غيرها، وبيان هذه الأحكام له تعالى ببيان أنَّه عالم بكلِّ المعلومات من الكلِّيّات والجزئيَّات، وذلك ممَّا عُلِمَ في العلم الإلهيّ.

إشكالٌ وحلُّه:

إطلاق اسم (العارف) على الله تعالى لا يجوز؛ لقول النبيّ ﷺ: «**إنَّ لله ﷻ تسعةً وتسعين اسمًا مئة إلَّا واحدة، من أحصاها دخل الجنَّة، وهي الله إلاله، الواحد، الأحد..**»[1]، وإجماع علماء النَّقل على أنَّ هذا الاسم ليس منها؟.

قلت: الأقوى حجَّة أنَّ أسماء الله تعالى تزيد على التِّسعة والتِّسعين؛ لوجوه:

أحدُهما: قول النبيّ ﷺ: «**ما أصاب أحدًا همٌّ، ولا حزنٌ؛ فقال: اللهمَّ إنِّي عبدك وابن عبدك، وابن أمَتِك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدل في قضاؤك أسألك بكلِّ اسم سمَّيت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علَّمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيعَ قلبي، ونور بصري، وجلاء حزني، وذهاب همِّي، إلَّا أذهب الله همَّه، وأنزل مكانه فرجًا**»[2].

فإنَّ هذا صريحٌ في أنَّه استأثر ببعض الأسماء.

ثانيها: غير ممتنع عقلًا تعدُّد التَّسمية لله سبحانه وتعالى، ما دامت تخصُّ شيئًا من ذاتِه، وهي غير خارجة عنه، أو تقدح بالذَّات المقدَّسة لا سامح الله[3].

(١) الخصال للصدوق: ٥٩٣.

(٢) انظر: الدعوات (سلوة الحزين): ٥٦، وانظر: إقبال الأعمال: ٢/ ٢١٩، المزار، الشهيد الأوَّل: ٢٥٦.

(٣) انظر: الإلهيَّات للشيخ السبحانيّ، هناك مبحث خاص عنده في كتابه هذه حول إمكان تسمية الله بما لم يسمِّ به نفسه.

ثالثها: إطلاق التَّسمية على بعض الأشياء، كشهر رمضان، وقد ورد أنَّه ﷺ قال في رمضان: إنَّه اسم من أسماء الله تعالى[1].

فضلًا عن أنَّ المشهور بين الأسماع، والمؤمنين: فلان أوتيَ الاسم الأعظم، وكان ذلك يُنسَب إلى بعض الأنبياء، والأولياء، وذلك يدلُّ على أنَّه خارجٌ عن التِّسعة والتِّسعين، أو إنَّ لديه فهمًا خاصًّا عن اسمٍ من أسمائه أنَّه الاسم الأعظم باعتبارٍ معين[2].

فإذا كان كذلك، كان كلُّ الكلام في قوله ﷺ: «**إنَّ لله تسعة وتسعين اسمًا مَن أحصاها دخل الجنَّة**» قضيَّة واحدة معناها الإخبار بأنَّ من أسماء الله تعالى تسعة وتسعين مَن أحصاها يدخل الجنَّة، لا على نحو الحفظ، وإنَّما يُحصيها تخلُّقًا ويكون تخصيصها بالذِّكر لاختصاصها بمزيد شرف لا يكون لباقي الأسماء، وهي كونها مثلًا جامعة لأنواع من المعاني المنبئة عن الكمال بحيث لا يكون لغيرها لا لنفي أن يكون الله تعالى اسمٌ غيرها، وإذا كان كذلك جاز أن يكون (العارف)[3] من تلك الأسماء؛ وهو قد يكون على نحو الدخول الضمنيّ، لا طريقة التسمية، إن صحَّ التَّعبيرُ.

ولا يقال: إنَّ الاسم الأعظم غير داخل فيها لاشتهارها، واختصاص معرفته بالأنبياء والأولياء، وإذا كان كذلك، فكيف يصدق عليها أنَّها أشرف الأسماء؛ لأنَّا نقول: يُحتمل أن يكون خارجًا عنها، ويكون شرفها حاصلًا بالنِّسبة إلى باقي الأسماء

(١) انظر: مجمع البيان: ٥/ ٥، وانظر: الكافي: ٤ / ٦٩، ح١ و٢، باب في النهي عن قول رمضان؛ وسائل الشيعة: ٧ / ٢٣١، أبواب أحكام شهر رمضان، ب ١٩، ح١-٤.

(٢) شرح ابن ميثم البحرانيّ: ١/ ١٣٨.

(٣) هناك مشروع بحث، وهو (الاسم غير المصرَّح به للذات المقدَّسة في القرآن الكريم) دراسة دلاليَّة سياقيَّة، وهي كثيرة في القرآن الكريم، ذكرها سبحانه في معرض الذِّكر الفعليّ، كالآمر مثلًا: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ الإسراء: ١٦، وغيرها ما يفوق حدَّ الحصر.

التي هي غيره، ويُحتمل أن يكون داخلًا فيها، إلَّا أنَّا لا نعرفه بعينه ويكون ما يختصُّ به النبيّ، أو الوليّ، إنَّما هو تعيينه منها[1].

والله العالم بحقائق الأمور..

١٤. شَقَّ، ونَتَقَ[2].

في قول أمير المؤمنين: «ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَه فَتْقَ الأَجْوَاءِ، وشَقَّ الأَرْجَاءِ»[3].

هذا ما ورد في الضَّبط المشهور[4]، وكذلك ما ورد من ضبط لابن السكون الحِلّيّ[5]، وابن أردشير[6]، والفرطوسيّ[7]؛ فكلُّ الروايات اتَّفقت على هذا النصّ (شقَّ).

ولكنْ: وردتْ روايةٌ للبيهقيّ في معارج نهج البلاغة «ويروى: ونتق الأرجاء»[8]، وقد تفرَّد بذكرها البيهقيّ، ولم يشِرْ إليها كلُّ من حقَّق نهج البلاغة، كما أنَّها لم تكن عرضةً لكلِّ كفٍّ لامسٍ.

وهي رواية لا يمكن غضُّ الطَّرف عنها؛ لأنَّ البيهقيّ كان قريبَ العهد من الجامع الشَّريف الرضيّ (ت٤٠٦هـ)، وقريبَ العهد لأحد رواة النُّسخ المعتمدة في التَّحقيق المشهور؛ فهو معاصرٌ للسيِّد أبي الرَّضا فضل الله بن عليّ بن عبيد الله الحسنيّ الراونديّ رحمه الله (ت ٥٧٠هـ).

---

(١) انظر: شرح ابن ميثم: ١/ ١٣٦-١٣٨

(٢) في (أ): ٤٧ (شقَّ)، وفي سكون: ٧٠ (شقَّ)، وفي أردشير: ٧ (شقَّ)، وفي الفرطوسيّ: ١/ ١٧٦ (شقَّ).

(٣) نهج البلاغة: ٤٠.

(٤) نهج البلاغة، تحقيق العطَّار: ٤٧.

(٥) انظر: نهج البلاغة، ضبط ابن السكون: ٧٠.

(٦) لاحظ: الصحيفة السابعة من المخطوط.

(٧) لاحظ: ١/ ١٧٦.

(٨) معارج نهج البلاغة: ٥٧.

والآن نمضي إلى المعاني اللغويَّة لـ(شقَّ، ونتق)، ونبدأ بـ(شقَّ).

وهو أصلٌ واحدٌ صحيح يدلُّ على انصداعٍ في الشيء؛ ثمَّ يُحمل عليه، ويشتقُّ منه على معنى الاستعارة، تقول شَققتُ الشيء أشقُّه شقًّا، إذا صدعْتُه.

وبيدِه شقوق، وبالدابَّة شقاق، والأصل واحد، والشقَّة: شظيَّة تشظَّى من لوحٍ، أو خشبة، ومن الباب: الشِّقاق وهو الخلاف، وذلك إذا انصدعت الجماعة، فتفرَّقَتْ، يقال شقُّوا عصا المسلمين، وقد انشقَّت عصا القوم بعد التئامها، إذا تفرَّق أمرُهم.

ويقال: أصاب فلانًا شقٌّ، ومشقَّة، وذلك الأمر الشَّديد، كأنَّه من شدَّته يشقُّ الإنسان شقًّا، والشقُّ أيضًا: النَّاحية من الجبل، والشقُّ: الشَّقيق، يُقال هذا أخي، وشقيقي، وشقّ نفسي، والمعنى إنَّه مشبَّه بخشبة جعلت شقَّين، والشقَّة: مسير بعيد إلى أرض نطيَّة، تقول هذه شقَّة شاقَّة، ومن الباب الشِّقشقة: لهاة البعير، وهي تسمَّى بذلك؛ لأنَّها كأنَّها منشقَّة، ولذا قالوا للخطيب هو شِقشقةٌ؛ فإنَّما يشبِّهونه بالفَحْل[1].

شققته شقًّا من باب قتل، والشِّقُّ بالكسر: نصف الشيء، والشقُّ: المشقَّة، والشقُّ: الجانب، والشقُّ: الشَّقيق، وجمع الشَّقيق أشقَّاء، والشَّقُّ بالفتح: انفراج في الشيء[2]، وهو مصدر في الأصل، والجمع شقوق، وانشقَّ الشيء: إذا انفرج فيه فرجة، وشقَّ الأمر علينا يشقُّ من باب قتلٍ أيضًا؛ فهو شاقٌّ، والمشقَّة منه.

والانشقاق: افتراق امتداد عن التئام، فكلُّ انشقاق: افتراق، وليس كلُّ افتراق انشقاقًا[3].

وشقَّت السُّفرة أيضًا، وهي شقَّة شاقَّة إذا كانتْ بعيدة، والشقَّة من الثياب، والجمع شقق، وشاقَّه مشاقَّة وشقاقًا: خالفه، وحقيقته أن يأتي كلٌّ منهما ما يشقُّ على صاحبه؛

(١) مقاييس اللغة: ٣/ ١٧١.
(٢) انظر: التحقيق في كلمات القرآن: ٦/ ٩٣-٩٤.
(٣) انظر: مجمع البحرين: ٥/ ١٩٣.

فيكون كلٌّ منهما في شقٍّ غير شقِّ صاحبه[1].

وممَّا عُرض تكون المعاني الجامعة لما سبق، هي:

١. الانفراج المطلق (الشقُّ)، سواء كان مع حصول تفرُّق أم لا، وسواء كان في مادِّيّ، أم في معنويّ.

٢. الشقُّ بمعنى الجانب.

٣. النِّصف (شقَّين).

٤. النَّاحية.

٥. الشَّقيق، وما شاكلَها، ممَّا ينشقُّ عن مثيله، ويكون له مثيلٌ، أو شبيهٌ.

فيكون معنى شقَّها: فتقَها، والعكس صحيح، والأرجاء جمع رجاء مقصور، وهى النَّاحية.

وأمَّا (نتق)؛ فقد ورد في الصِّحاح: النتق: الزَّعزعة، والنَّفض، وقد نتقته أنتقه بالضمِّ نتقًا، قالَ رؤبة:

ونـتـقـوا أحـلامَـنـا الأثـاقـلا[2]

وقال أبو عبيدة (ت ٢٠٩، أو ٢١٠هـ): قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾ الأعراف: ١٧١؛ أي: زعزَعْناهُ، ورفعناهُ فوقَهم[3].

وفرسٌ ناتق، إذا كان ينفض راكبه، ونتقت الغرب من البئر؛ أي: جذبتُهُ.

والبعير إذا تزعزع حمله نتق حباله، وذلك جذبه إيَّاها؛ فتسترخي، ونتقت الجلد؛ أي: سلخته، ونتقتِ المرأةُ؛ أي: كثر ولدُها فهي ناتقٌ، ومُنتاق، وناقة ناتق، إذا أسرعت

(١) اللسان: ١٠/ ١٨١-١٨٢.

(٢) ديوانه: ١٢٢.

(٣) انظر: مجاز القرآن: ١/ ٢٣٢.

الحمل، وزنْدٌ ناتقٌ؛ أي: وارٍ[١].

وعليه يكون معنى الأصل الواحد في المادَّة:

١. الجذب مع اهتزاز، ومن مصاديقه: نتق السّقاء، ونتق الدَّلو من البئر، ونتق البعير حملَه وعرى حباله.

٢. الإخراج، كنتق الحُبلى الجنينَ حتَّى تخرجه، كما في نتق الجراب، والسّقاء، ونتق الفرسُ راكبه، ونتق الجلد، وسلخه.

كلُّ هذا في قيدَينِ: إنَّه تحريك في نفس الشيء، ومن دون نظر إلى انتقال في المكان؛ فالأصل يلاحَظ فيه هذان القيدَان.

وبين المادَّة وموادّ النتج، والنتح، والنتخ، والنتر، والنتف: اشتقاق أكبر، ويجمعها مفهوم الجذب والحركة[٢].

ويكون المعنى (ونتقَ الأرجاء): حرَّكها، وجعل لها مواضعَ، وطرقًا، ونواحيَ.

فالظاهر تبادرًا أنَّ بين (شقَّ ونتقَ) ترادفًا، ولكن عند التَّدقيق تجد أنَّ (نتقَ) أكثر دلالةً من (شقَّ)، وأقوى؛ ففضلًا عن الشقِّ تجد الزَّعزعةَ، والإخراج، والله ووليُّه أعلم.

فائدةٌ:

جاء في منهاج البراعة ملخّصًا: في قوله عليه السلام: «**ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَه فَتْقَ الأَجْوَاءِ، وشَقَّ الأَرْجَاءِ وسَكَائِكَ الْهَوَاءِ**».

هذه الجمل الثَّلاث متَّحدة المفاد، وجمع (الأَجواء، والأرجاء، والسَّكائك) باعتبار

(١) الصِّحاح: ٤/ ١٥٥٨.

(٢) التحقيق في كلمات القرآن: ١٢/ ٣١.

تعدُّد طبقات الهواء.

وقيل: إنَّ المراد بالأجواء: هو الفضاء الظَّاهر على أطراف الأرض، وبالأرجاء: الفضاء المتَّصل بأطراف الأرض الذي أدنى من الأوَّل، وبالسَّكائك الفضاء المرتفع عن الأرض، وكيف كان ففيها دلالةٌ على كون الفضاء مخلوقًا، وأمرًا موجودًا؛ لأنَّ المخلوق لا يكون عدمًا محضًا[1].

١٥. أجرى، أجاز، وأحار[2].

في قول أمير المؤمنين: «فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً مُتَلَاطِماً تَيَّارُه»[3].

ورد في النسخة المشهورة «**فأجرى فيها ماءً متلاطمًا تيَّارُه**»[4]، وفي نُسخة ابن السكون «**فأجاز فيها ماءً متلاطمًا تيَّارُه**»[5].

وفي ربيع الأبرار للزمخشريّ (ت٥٣٨هـ) «عليّ رضيَ اللهُ عنهُ: **أنشأ سبحانه فتق الأجواء، وشقَّ الأرجاء.. فأجاز فيها ماءً متلاطمًا تيَّارُهُ**»[6].

وفي شرح ابن ميثم «ومن روى أحار؛ أي: أدار، وجمع..»[7].

(١) منهاج البراعة: ١/ ٣٧٢-٣٧٣.

(٢) ورد في (أ): ٤٧ (فأجرى)، وفي الهامش: ٤ من الصحيفة نفسها كتب «في (ل) فأجاز، وفأحاز، ثمَّ شطب عليها، وكتب في الهامش (فأجرى)، وفي (م) فأجار، وفي نسخةٍ منها (فأحاز)»، وفي أردشير الطبريّ (فأجاز)، انظر: الصحيفة: ٧ من المخطوط.
وفي (سكون): ٧٠ (فأجازَ)، وعليه تكون الروايتان المطلوبتان من النُّسخ (فأجرى)، و(فأجاز)، فضلًا عن رواية ابن ميثم في شرحه، وعدة الجميع ثلاث.
وأمَّا الفرطوسيّ: ١/ ١٧٦ (فأجاز)، وفي الهامش: ٧ (ي: فأجرى..).

(٣) نهج البلاغة: ٤١.

(٤) انظر: نهج البلاغة، الضبط المشهور، تحقيق العطَّار: ٤٧.

(٥) انظر: نهج البلاغة، ضبط ابن السكون: ٧٠.

(٦) ربيع الأبرار: ١/ ٩٧.

(٧) شرح ابن ميثم: ١/ ١٣٣.

وفي بحار الأنوار[١] ذكر الرواية «فأجرى..»؛ ثمَّ كتب محقِّق الكتاب هامشًا: «في المصدر: فأجاز»، وهذه الرواية نقلها عن نهج البلاغة، يقول رحمه الله: «**النَّهج: فمن خطبة لهُ عليه السلام يذكر فيه ابتداء خلق السَّماوات**»[٢].

ويبدو أنَّ ما نقل عنه المجلسيّ نسخة تختلف عن المشهور، ونسخة ابن السكون الحِلِّيّ؛ فالمشهور ذِكر (السَّماء والأرض) مُفردينِ، وابن السكون كذلك؛ بل وحتَّى أنِّي رجعت إلى تحقيق الدكتور الفرطوسيّ[٣] الذي لم يُطبَع بعدُ، في الصَّحيفة (١٧٣)؛ فوجدته وافق الضَّبطينِ (المشهور، وابن السكون).

وفي أثناء ذلك تذكَّرت النُّسخة الموجودة في مكتبة الإمام الحكيم ذات الرقم (٦٦١)[٤]، والتي كُتبتْ في مقام صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف في الحِلَّة، هذا المقام العظيم ذو

(١) انظر: البحار: ٥٤/ ١٧٧، ومعه الهامش (٢)، وكذلك منه انظر: الجزء: ٧٤/ ٣٠١.

(٢) البحار: ٥٤/ ١٧٦.

(٣) الجدير بالذِّكر أنَّ للدكتور صلاح الفرطوسيّ أمدَّ الله بعمره، ضبطًا خاصًّا نابعًا من اجتهاده اللغويّ، ورؤيته الخاصَّة باللغة؛ فعلى سبيل المثال ضبط قول الإمام عليه السلام: «**فأمَرَها بردِّه**» بتشديد الميم «فأمَّرها بردِّه» بالكثرة والمبالغة بالأمر، في حين ضبط ابن السكون بالفتح والتخفيف، وكذلك في الضبط المشهور، بل وحتَّى ضبط الدكتور صبحي الصالح (انظر: الصحيفة ٤٠ منه)، ولا أتصوَّر أنَّ الفعل هنا حقُّه التشديد للمبالغة؛ لأسباب:

١. إنَّه جلَّ عُلاه لا يحتاج أن يشدِّد، ويبالغ في الأمر؛ لأنَّ المخلوقات كلُّها طوع إرادته، على فرض من رأى التَّشديد في (أمَّر) للمبالغة.

٢. إنَّ التَّشديد للفعل (أمَّر) صار هنا، تسييقًا للفظ «وسلَّطها على شدّه»، فحصل الحمل على اللفظ المشدَّد (التَّشديد على التوهُّم).

٣. إنَّ قولنا (أمَّرها) جعلها أميرة، أو صيَّرها، وهذا انصراف ذهنيّ، وعقليّ حقيقيّ؛ لأنَّ مطلقه (تأميرًا)، والتأمير كما هو معلوم؛ أي: جعل الأمير، واتِّخاذه، وقد ورد عن أهل بيت العصمة ما معناه: «أمِّروا ولو كنتم اثنين».

فاقتضى الكلام هنا التَّخفيف، لا التَّشديد.

(٤) اتصلت بالباحث حيدر الخفاجيّ، وهو مختصٌّ بالنُّسَّاخ الحِلِّيِّين؛ وكنت أظنُّه يملك نسخة من=

=المخطوطة، ولكن لم تكن عنده، وزوَّدني بملومات ووصف لهذه النسخة وصاحبها.

ولم أيأس؛ لعلمي أنَّ هناك نسخةً عند الشيخ أحمد الحِلِّيّ، فاتَّصلت به بالوقت نفسه، إلَّا أنَّه اعتذر بعدم وجود نسخة إلكترونيَّة من هذه النسخة، كلُّ ذلك في يوم السبت ١٨/ ٤/ ٢٠٢٠م، الموافق ٢٤/ شعبان ١٤٤١هـ مساءً في النجف المحروسة، وكذلك اتَّصلت بالشيخ صلاح السرَّاج من العتبة الحسينيَّة المقدَّسة، ووعدني خيرًا أن أتَّصل به يوم الأحد؛ ليُرسِلها لي على التليجرام؛ وإنَّما ذكرت ذلك؛ ليُعلمَ أنَّ الشَّوق لا يعرفه إلَّا من يقاسيه، ووصيَّة أوصى بها أحد الصالحين أن نكتب ما يعنُّ لنا من مشكلات في التحقيق، وهو السيِّد الصافي دامت توفيقاته.

ودونك هذه المعلومات التي زوَّدني بها الباحث حيدر محمَّد عبيد الخفاجيّ مشكورا:

(السيِّد حسين بن أردشير بن محمَّد (حيًّا سنة ٦٧٧هـ).

نهج البلاغة (للإمام عليّ بن أبي طالب).

تاريخ النسخ: يوم السبت أواخر صفر سنة ٦٧٧هـ.

مكان النسخ: في الحِلَّة السيفيَّة، بمقام صاحب الزَّمان عجل الله فرجه.

قرأها على يحيى بن سعيد الهذليّ الحِلِّيّ؛ فكتب له إجازة في أوَّلها، ونصُّها: «قرأ عليَّ السيِّد الأجلُّ الأوحد، الفقيه العالم، الفاضل المرتضى، نجم الدين أبو عبد الله الحسين بن أردشير بن محمَّد الطبريّ- أصلح الله أعماله، وبلَّغه آماله بمحمَّد وآله- كلّ هذا الكتاب من أوَّله إلى آخره، فكمل له الكتاب كلُّه، وشرحت له في أثناء قراءته وبحثه مشكلهُ، وأبرزت له كثيرًا من معانيه، وأذنت له في روايته عنِّي، عن السيِّد الفقيه العالم المقرئ المتكلِّم محيي الدين أبي حامد محمَّد بن عبد الله بن عليّ بن زهرة الحسينيّ الحلبيّ رحمه الله، عن الشيخ الفقيه رشيد الدين أبي جعفر محمَّد بن عليّ بن شهر آشوب المازندرانيّ، عن السيِّد أبي الصمصام ذي الفقار بن [محمَّد بن] معبد الحسنيّ [الحسينيّ] المروزيّ، عن أبي عبد الله محمَّد بن عليّ الحلوانيّ، عن السيِّد الرضيّ أبي الحسن محمَّد بن الحسين ابن موسى بن محمَّد الموسويّ.

وعنه عن الفقيه عزِّ الدين أبي الحارث (محمَّد بن الحسن بن عليّ الحسينيّ البغداديّ، عن قطب الدين أبي الحسين الراونديّ، عن السيِّدَين المرتضى والمجتبى ابني الداعي الحسينيّ (الحسنيّ) الحلبيّ، عن أبي جعفر الدرورستيّ، عن السيِّد الرضيّ، فليروه متى شاء وأحبَّ.

وكتب سنة سبع وسبعين وستمائة، يحيى بن سعيد».

وكتب له يحيى بن سعيد إنهاء قراءة في آخر النسخة، نصُّه الآتي: «أنهاه- أحسن الله توفيقه- قراءةً وشرحًا لمشكله، وغريبه، نفعه الله وإيَّانا بمحمَّد وآله، وكتب يحيى بن محمَّد (أحمد- ظ) بن يحيى=

الكرامات، لناسخها حسين بن أردشير الطبريّ (تـوفِّي:...)[1]، فلا يسعني الحصول عليها من هذه المكتبة العريقة، مكتبة الحكيم؛ فالتمستها من العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، قسم المخطوطات، وهو الهادي للسَّداد.

قد وصلتني هذه النُّسخة من الموفَّق أبي حسنين صلاح السرَّاج يوم ١٩/ ٤/ ٢٠٢٠ صباحًا، ووجدت أنَّ ابن أردشير الطبريّ ذكر الألفاظ نفسها، وهو في روايته لنهج البلاغة لا يعدو ما ضبطه ابن السكون الحِلِّيّ؛ لهذا وبعد استحداث هذه الأوضاع؛

=ابـن الحسـن بـن سـعيد الهـذليّ الحِـلِّيّ بالحِلَّـة- حماها الله- في صفر من سـنة سـبع وسـبعين وستمائة».

يقول الشـيخ الطهرانيّ رحمه الله: رأيت هذه النسخة عند (السَّـماويّ)، وانتقلت بعد وفاته إلى مكتبة السيِّد الحكيم العامَّة ورقمها الآن: (٦٦١).

(١) ما أوصلنيه الباحث حيدر الخفاجي: (حيًّا ٦٧٧هـ)، وجزم الجلاليّ أنَّ هذه سنة وفاته في كتابه (دراسة حول نهج البلاغة) أنَّه ٦٧٧هـ، يعني أنَّه توفِّي بعدها بقليل، أعني بعد نسخ نهج البلاغة في صفر سـنة ٦٧٧هـ في السنة نفسها، ولكنِّي وجدت في تراجم الرجال للحسينيّ الأشكوريّ: ١/ ١٦٧ «كتب نسخة من كتاب (النهاية) للشيخ الطوسيّ، وأتمَّها في يوم الثلاثاء ١٥ ربيع الأوَّل سـنة ٦٨١، وقرأ الكتـاب على العلَّامة الحِلِّيّ فأجازه بإجازتَين في ربيـع الثاني وجمادى الثانية من سـنة ٦٨١، وقال في الإجازة الأولى (قرأ علي الشـيخ العالم الفقيه الفاضل الكبير الزاهد المحقِّق العلَّامـة نجم الملَّة والدين، عزّ الاسـلام والمسـلمين.. قراءة مهذَّبة تدلُّ عـلى فضله، وتنبئ عن علمه..)».

والحقيقة لم أتحقَّق ما قاله الأشكوريّ، فلم أعثر على هذه النسخة في ما توافر لي من كتب؛ بسبب الحجر الصحِّيّ، وأزمة كورونا.

إلَّا أنَّ الطهـرانيّ رحمه الله قـال في الأنوار السـاطعة: ٤٦ «ولعلَّه أدرك الثامنة كبعـضٍ آخر من تلاميذ نجيب الدين»، وهو أمر لا نسـتبعده، فأسـتاذه رحمه الله نجيب الدين يحيى بن أحمد بن يحيى بن سـعيد الحِلِّيّ توفِّي ٦٩٠هـ، والله العالم.

ويبدو أنَّ الباحث حيدر الخفاجيّ رجع إلى أعيان الشيعة: ٥/ ٤٥١، فالعامليّ حدَّد هذه السَّنة من كونه حيًّا فيها.

فعلى تاريخ النَّسخ نسخ النهاية والإجازة، يكون حيًّا سنة ٦٨١هـ.

سأعود لأضبط ما فاتني ضبطُه وعلى هذه النُّسخة، على قدر المصلحة، والوسع والطَّاقة.

والآن لنعُد إلى المختلف من ألفاظ نهج البلاغة في هذه الرِّواية، ونبدأ بـ:

(أجرى): جرى الماء، وغيره جريًا، وجريانًا، وأجريته أنا؛ يقال: ما أشدُّ جِرية هذا الماء، بالكسر، وقوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ هود: ٤١، هما مصدران من أجريتُ السَّفينة، وأرسيت، و﴿مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ بالفتح، من جرتِ السَّفينة، ورسَتْ[1].

الخيل تجري، والرِّياح تجري، والشَّمس تجري جريًا، إلَّا الماء؛ فإنَّه يجري جريةً.

والإجريا: طريقته التي يجري عليها من عادته، والإجريا: ضرب من الجري.

وفرس ذو أجاري؛ أي: ذو فنون من الجري، والجريّ: الرَّسول؛ لأنَّك أجريتهُ في حاجتك، والجارية: مصدرها: الجراء، بلا فعل، يقال: فعلت ذلك في جرائها؛ أي: حين كانت جارية[2].

وممَّا تقدَّم تتمحور المعاني، وعلى السَّمتِ الآتي:

١. جَيَران الماء، سيحُه، وسيلانه.

٢. جَريان الرِّياح، هبوبها.

٣. طريقة الجري؛ ومنه الجريّ على (فعيل)، وهو الرَّسول؛ سمِّي بذلك لجريه في تسليم حاجة من أرسلَه.

(١) انظر: الصِّحاح: ٦/ ٢٣٠١.

(٢) انظر: العين: ٦/ ١٧٤-١٧٥.

وبحسب ما تناوله ابن فارس؛ فإنَّ مفهوم المادَّة يدلُّ على أصلٍ واحدٍ، وبمعنى آخر هذه المادَّة تدلُّ على الحركة المنظَّمة، سواء أكانت الحركةُ مقصودةً، أم غيرَها.

وعليه يكون معنى قوله: «**فأجرى فيها ماءً متلاطمًا تيَّارُه، متراكمًا زخَّارُه**»؛ أي: موجُه ولجَّته، وأساله، وحدَّد مصبَّه، ومورده، ومنبعه.

وفي هذا الكلام إشارة إلى إجراء أحكام الوجود فيه؛ فإنَّ شأن الماء أن يكون سيَّالًا، والوجود كذلك؛ ولذلك عبَّر عنه به، ولـمَّا كان الوجود مع قطع النَّظرِ عنِ الموضوعات، والماهيَّات متلاطمًا متراكمًا في شدَّة النُّورانيَّة عبَّر عنه بالماءِ المتلاطم المتراكم[١].

وأمَّا (أجازَ) جزتُ الطَّريقَ جوازًا، ومجازًا، وجؤوزا، والمجاز: المصدر، والموضع، والمجازة أيضًا، وجاوزته جوازًا في معنى: جزته، والجواز: صكُّ المسافر[٢].

وجزتُ الموضعَ أجوزهُ جوازًا: سلكتُه، وسرتُ فيه، وأجزتُهُ: خلفته، وقطعته، قال امرؤ القيس:

فلـمَّا أَجَـزْنـا ساحـةَ الحَـيِّ وانْـتَـحى
بِنا بَطْنُ خَبْتٍ ذي قِفافٍ عَقَنْقَلِ[٣]

وأجزته: أنفذته.

فههنا أصلان، كما يعبِّر ابن فارس[٤]، **أحدُهما**: قطع الشيء، والآخر وسط الشَّيء؛ فأمَّا الوَسط؛ فجوز كلِّ شيءٍ وسطه، ومنه الجوزاء؛ لأنَّها تتوسّط الكواكب، وما شاكل،

(١) انظر: مفتاح السعادة: ١/ ١٩٤.
(٢) انظر: العين: ٦/ ١٦٥.
(٣) انظر: ديوانه بشرح الحضرميّ: ٥٦، وفيه (حَقفٍ) بدل (خبْت)، شرح محمَّد بن إبراهيم الحضرميّ (ت ٦٠٩هـ) قدَّم له وحقَّقه د. أنور أبو سويلم، د. عليّ الهـ، ساعد في تحقيقه الدكتور عليّ الشوملي، نُشِر بدعم من جامعة مؤتة، ط١، ١٩٩١م.
(٤) انظر: مقاييس اللغة: ١/ ٤٩٤.

وما قيل في تفسيرها.

والأصل الآخر: جزتُ الموضع سرتُ فيه، وأَجزْتُهُ، وخلَّفته، وقطعتُه.

فهذان هما الأصلان المرادان منَ المادَّة هذه؛ فيكون المعنى المحتمَل للعبارة على فرض هذا الأصل: قطع فيها ماءً متلاطمًا؛ أو وسَّط الماء الذي صفته متلاطم التيَّار، متراكم الزَّخار.

ويبدو أنَّ هذه الرواية لم يتطرَّق إليها واحدٌ من الشَّارِحين بالذِّكر، فضلًا عن الشَّرح.

وأمَّا (أحارَ): الحاء، والواو، والرَّاء ثلاثة أصول، أحدها لونٌ، والآخر الرُّجوع، والثَّالث أن يدور الشيء دورًا.

فأمَّا الأوَّل؛ فالحَوَرُ شدَّة بياض العين في شدَّة سوادها.

وإنَّما قيل للنِّساء حُور العيون؛ لأنَّهنَّ شبِّهن بالظِّباء، والبقر، ويُقال لأصحاب عيسى عليه السلام الحواريُّون؛ لأنَّهم كانوا يحورون الثِّياب؛ أي: يبيِّضونها؛ هذا هو الأصل، ثمَّ قيل لكلِّ ناصرٍ: حواريّ.

وأمَّا الرُّجوع، فيقال حار إذا رجع، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ الانشقاق: ١٤، والعرب تقول الباطل في حوَرٍ؛ أي: رجعَ، ونقص، وكلُّ نقصٍ، ورجوع: حور.

والحور مصدر حارَ حورًا: رجَعَ، ويقال: نعوذ بالله من الحَورِ بعد الكور، وهو النُّقصان بعد الزِّيادة.

والأصل الثَّالثُ: المحور الخشبة التي تدور فيها المحالة، ويُقال حورت الخبزة تحويرًا إذا هيَّأتها، وأدرتها لتضعها في المِلَّة.

وممَّا شذَّ عن الباب حُوار النَّاقة، وهو ولدُها[١]، وكذلك قولهم: قلقت محاوره إذا اضطربتْ أحواله، على المجاز، واستعير من حال محور البكرة، إذا أملس واتَّسع الخرقُ فقلقَ، واضطربَ[٢].

وعليه يكون لهذا اللفظ مجموعةً من المعاني:

١. اللون، يحورون الثّياب، كما في حواريي عيسى عليه السلام.

٢. الرّجوع، سواء أكان الرجوع السلبيّ، أم الإيجابيّ، ومنه حاورته، راجعته الكلام.

٣. الـدَّوَران حول الشيء، حار الماء دارَ، ولم يدخل ما دار عليه، ومنه الحائر الحسينيّ لسيِّديّ، ومولاي أبي عبد الله الحسين (عليه وعلى أبيه وأمِّه آلاف التحيَّات والسلام)؛ سمِّي بذلك لدوران الماء حوله، بعد أن أفاضهُ الأعداءُ على قبره ليدرسوهُ.

٤. حوار النَّاقة، وهو ولدها، وأظنُّه سمِّي بذلك؛ لعوده إلى أمِّه، ورجوعه إليها تحنُّنًا.

٥. القلق، والاضطراب، من قلقت محاوره.

وممَّا تقدَّم يكون المعنى الأنسب لقول مولى الموحِّدين على هذه الرواية (فأحار فيها ماءً متلاطمًا تيَّاره)؛ يعني: أدار، وجمع؛ فدوران الماء في الأرض سبب في الحياة، وهذا ما هو واقع فعلًا؛ فالمعاني التي مضى سردُها ليستْ تلتقِي بهذا النصّ.

ومن ثمَّ؛ فالرِّوايات (أجرى، وأجاز، وأحار) أقواها: أجرى؛ ثمَّ تأتي بعدها: أحار؛ لارتباط تسمية الحائر، والحَوران بالماء حقيقةً، والأخير: أجاز.

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة: ٢/ ١١٥-١١٧.

(٢) انظر: أساس البلاغة: ٢٠٥.